المملكة المغربية



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

التفسير

من خلال التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي

السنة الأولى من التعليم الإعدادي العتيق

كتاب التلميذ والتلميذة

عنوان الكتاب	التفسير من خلال التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي السنة الأولى من التعليم الإعدادي العتيق
الناشر	وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية
رقم الإيداع القانوني	2017MO0322
ردمك	978-9954-9645-3-8
الطبعة	1438 هـ/ 2017 م
الإخراج الفني و الطباعة	دار أبي رقراق للطباعة والنشر – الرباط



بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

أبناءنا التلاميذ، بناتنا التلميذات:

يسرنا أن نضع بين أيديكم كتاب مادة التفسير للسنة الأولى من التعليم الإعدادي العتيق باعتباره معينا تربويا، ودعامة بيداغوجية تمكنكم من فهم مضامين مفردات مقرر المادة، واستيعابها.

وقد تناولنا في هذا الكتاب تفسير سور: لقمان والسجدة والحجرات و(ق) مستندين إلى كتاب «**التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي**» مع الاستفادة مما ورد في أمهات كتب التفسير.

وقد انتهجنا في ذلك أسلوبا يقرب لكم معاني الآيات، وييسر عليكم فهمها، ويعينكم على معرفة مراد الله تعالى من كلامه الجليل، وإدراك مقاصده الشرعية والتربوية إدراكا يكون لكم محفزا على التمثل المؤدي إلى الامتثال.

ولتحقيق هذه المقاصد، اعتمدنا في تأليف الكتاب منهجا تربويا يقوم أساسا على التدرج في بناء الدرس وترتيب عناصره من خلال أنشطة تربوية متنوعة تروم تحقيق أهداف الدرس، ومراعاة مستواكم المعرفي والإدراكي لمساعدتكم على فهم معاني الآيات وتحليل مضامينها، واستنتاج ما تضمنته من تعاليم الإسلام السمحة المتسمة بالاعتدال والوسطية والتسامح والتعايش مع مختلف الثقافات والحضارات الإنسانية.

ولقياس مدى تحقق أهداف الدرس، وتنمية قدراتكم، وتطوير مهاراتكم، وتحفيزكم على البحث، والتعلم الذاتي، والمشاركة في بناء التعلمات، أتبعنا ذلك بأسئلة تقويمية، ونصوص للاستثمار، وأسئلة للإعداد القبلي.

والمؤمل أن تجدوا في هذا الكتاب ما يشبع نهمكم العلمي، ويقوي عزائمكم للمزيد من بذل الجهد حتى تبلغوا ماتصبون إليه من تفوق في مساركم الدراسي.

وفقكم الله وجعل النجاح حليفكم

منهجية التأليف

درجنا في هذا التأليف وفق المنهج الآتي:

- **التعامل مع الكتاب الأصل**: أوردنا المادة العلمية للكتاب الأصل المعتمد بأسلوب بسيط ميسر مناسب لمستوى المتعلمين في هذه المرحلة، دون توثيق الأقوال التي وردت فيه سواء كانت للمؤلف أم لغيره، باستثناء نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية، التي التزمنا بتوثيقها.
- **التوثيق**:

✓ **توثيق الآيات القرآنية**: وثقنا الآيات القرآنية برواية ورش عن نافع بذكر السورة ورقم الآية، وفق المصحف المحمدي الصادر عن مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف.

✓ **توثيق الأحاديث النبوية**: وثقنا الأحاديث النبوية بذكر المصدر والكتاب والباب.

✓ **توثيق أقوال العلماء**: وثقنا أقوال العلماء ونقولهم بذكر المصدر أو المرجع والصفحة والجزء إن وجد، وأثبتنا باقي المعلومات المتعلقة بتوثيق الكتاب في فهرس المصادر والمراجع.

- **ترجمة الأعلام**: ركزنا على أهم الأعلام الذين لهم علاقة بالتفسير ووضعنا لهم ترجمة موجزة بذكر اسم العلم ونسبه وبعض مؤلفاته، وتاريخ وفاته.
- **المقاصد**: ختمنا تحليل كل درس بأهم المقاصد التربوية التي تضمنها، وغير ذلك من الفوائد التي اشتمل عليها.
- **نصوص الاستثمار**: انتقينا نصوصا للاستثمار لها علاقة بمضامين الدرس من أجل ترسيخ مكتسبات التلاميذ، وتعميق معارفهم وشحذ همتهم للبحث والتعلم الذاتي.
- **التعامل مع الخلاف**: راعينا عند حدوث الخلاف في تفسير بعض الآيات الأخذ بالراجح من الأقوال أو المشهور منها.
- **شكل النصوص**: اقتصرنا على شكل نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية، ونصوص الاستثمار تذليلا للصعوبات وتجنبا للخطأ فيها.
- توسعنا أكثر في تحليل مضامين المادة وإغنائها ببعض الفوائد وتوظيف بعض الأساليب اللغوية
- في الفهم والتحليل؛ مراعاة للتدرج وملاءمة لمستوى المتعلمين والمتعلمات في هذه المرحلة.

كيف أستعمل كتابي

عنوان الدرس

أهداف الدرس: أهداف الدرس وقدراته التي تسعى أنشطة الدرس إلى تحقيقها وتنميتها

تمهيد: مدخل يتضمن العناصر الكبرى التي سيعالجها الدرس

الآيات: آيات قرآنية أقرأها مطبقًا قواعد التجويد، وأستوعب معانيها لتوظيفها في فهم الدرس وبناء تعلماتي

الفهم

الشرح: مفردات لغوية تساعدني على فهم النصوص وإثراء رصيدي اللغوي

استخلاص مضامين الآيات: أسئلة تساعدني على استخراج مضامين الآيات موضوع الدرس

التفسير: يتضمن تفسير الآيات وتوضيح معانيها بلغة سهلة ميسرة تساعد على استخلاص الدروس والمقاصد المستفادة منها لتطبيقها في الحياة اليومية

الدرس 1

سورة لقمان
(الآيات: 1-4)

أهداف الدرس :

1. أن أتعرف مفردات الآيات ومضامينها العامة.
2. أن أستنتج بعض خصائص القرآن الكريم وبعض أوصاف المؤمنين.
3. أن أقوي إيماني بعظمة القرآن الكريم وأهتدي بهديه في حياتي.

تمهيد :

سورة لقمان مكية، إلا الآيات: السابعة والعشرين، والثامنة والعشرين، والتاسعة والعشرين، فمدنية، وهي أربع وثلاثون آية، نزلت بعد الصافات. سميت بهذا الاسم؛ لاشتمالها على قصة لقمان الحكيم.

عالجت سورة لقمان قضايا العقيدة، من الإيمان بالله تعالى وتوحيده، والنبوة والرسالة، والإيمان بالبعث واليوم الآخر. وتناولت أيضا مكارم الأخلاق التي جاءت في وصية لقمان لابنه، ثم أكدت على ضرورة إعمال العقل وذم التقليد.

فما هي خصائص القرآن الكريم؟ وما هي صفات المؤمنين المضمنة في هذه الآيات؟

الآيات :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [لقمان: 1-4]


11

الفهم :

الشرح:

- الٓمٓ : حروف مقطعة، لا يدرك معناها إلا الله تعالى.
- الحكيم : الذي لا خلل فيه ولا تناقض.
- للمحسنين: للمتقين الذين يحسنون العمل ويراقبون الله تعالى في كل شؤونهم.
- يوقنون : يصدقون تصديقا جازما.
- المفلحون : الفائزون.

استخلاص مضامين الآيات:

1. استخرج(ي) من النص خصائص القرآن الكريم.
2. ما هي صفات المؤمنين الواردة في الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

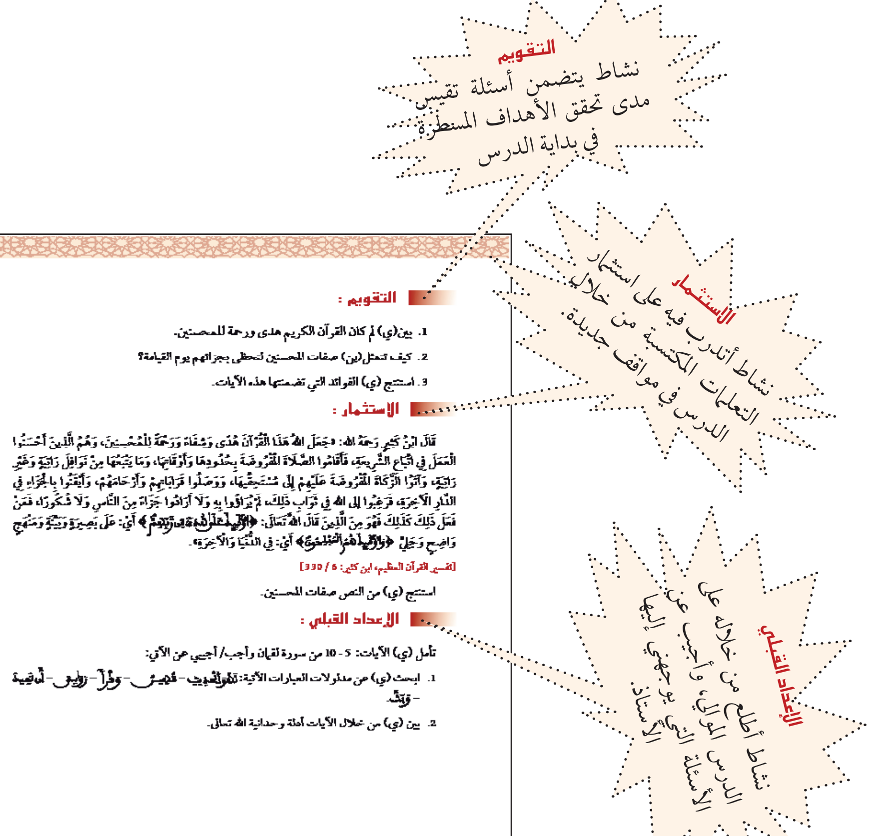
أولا: خصائص القرآن الكريم:

تضمنت الآيات خصائص القرآن الكريم وميزاته، وهي كالتالي:

قال تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ من الحروف المقطعة في القرآن الكريم، التي لا يعلمها إلا الله، ويرى بعض المفسرين أن الله تعالى ابتدأ هذه السور بمثل هذه الحروف، ليشير إلى أن القرآن مؤلف من جنس ما يؤلف منه العرب كلامهم، ومع ذلك عجزوا عن أن يأتوا بمثله، فتلك معجزة الله المنزلة على رسوله محمد ﷺ.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ تلك الآيات العظيمة القدر والمنزلة، آيات القرآن الكريم ذي الحكمة البالغة الذي لا نسخ ولا خلل يطرأ عليه بعد اكتمال نزوله، وهو الحكيم الذي أحكمت آياته وأحكامه فلا خلل فيه ولا تناقض.


12



التقويم :

1. بين(ي) لم كان القرآن الكريم هدى ورحمة للمحسنين.
2. كيف تمثل(ين) صفات المحسنين لتحظى بجزائهم يوم القيامة؟
3. استنتج (ي) الفوائد التي تضمنتها هذه الآيات.

الاستثمار :

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «جَعَلَ اللهُ هَذَا الْقُرْآنَ هُدًى وَشِفَاءً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ، وَهُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْعَمَلَ فِي اتِّبَاعِ الشَّرِيعَةِ فَأَقَامُوا الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ بِحُدُودِهَا وَأَوْقَاتِهَا، وَمَا يَتْبَعُهَا مِنْ نَوَافِلَ رَاتِبَةٍ وَغَيْرِ رَاتِبَةٍ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِمْ إِلَى مُسْتَحِقِّيهَا، وَوَصَلُوا قَرَابَاتِهِمْ وَأَرْحَامَهُمْ، وَأَيْقَنُوا بِالْجَزَاءِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَرَغِبُوا إِلَى اللهِ فِي ثَوَابِ ذَلِكَ، لَمْ يُرَاؤُوا بِهِ وَلَا أَرَادُوا جَزَاءً مِنَ النَّاسِ وَلَا شُكُورًا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أَيْ: عَلَى بَصِيرَةٍ وَبَيِّنَةٍ وَمَنْهَجٍ وَاضِحٍ وَجَلِيٍّ ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أَيْ: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

[تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 6 / 330]

استنتج (ي) من النص صفات المحسنين.

الإعداد القبلي :

تأمل (ي) الآيات: 5 - 10 من سورة لقمان وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. ابحث (ي) عن مدلولات العبارات الآتية: لهو الحديث - [illegible] - وقرا - رواسي - [illegible] - وبث.
2. بين (ي) من خلال الآيات أدلة وحدانية الله تعالى.

كفايات تدريس مادة التفسير
بالسنة الأولى من التعليم الإعدادي العتيق

ينتظر في نهاية السنة الدراسية أن يكون المتعلم (ة) :

- متمكنا من استيعاب مفردات ومضامين سور القرآن الكريم المقررة.
- مدركا للأحكام العقدية المتعلقة بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.
- قادرا على تنمية مشاعره الإيمانية وتقوية علاقته بكتاب الله تعالى والامتثال لأحكامه ومضامينه.
- متشبعا بثوابت الإسلام العقدية والشرعية والأخلاقية في نفسه وعقله من خلال التعامل مع آيات القرآن الكريم المقررة وفهم مقاصدها المتعلقة بالوجود والكون والجود والحقوق.
- متمثلا للتوجيهات القرآنية المتضمنة لآداب السلوك الاجتماعي القويم المبني على التسامح ونشر قيم الخير.
- متدبرا للقصص القرآنية وما تشتمل عليه من الدروس الأخلاقية والإيمانية.
- متحصنا من الميل إلى الأفكار الهدامة التي لا تتسم بالتسامح والتعايش بين أفراد المجتمع الإنساني، ومستعدا لقبول الرأي الآخر.

التوزيع الدوري والأسبوعي

الدورة	الأسبوع	الدروس
الدورة الأولى	1	تقويم تشخيصي سورة لقمان (الآيات: 1 – 4)
	2	سورة لقمان (الآيات: 5 – 10)
	3	سورة لقمان (الآيات: 11 – 14)
	4	سورة لقمان (الآيات: 15 – 18)
	5	سورة لقمان (الآيات: 19 – 20)
	6	سورة لقمان (الآيات: 21 - 25)
	7	سورة لقمان (الآيات: 26 - 31)
	8	سورة لقمان (الآيات: 32 - 33)
	9	فرض كتابي رقم:1 إنجاز وتصحيح ودعم وتثبيت
	10	سورة السجدة (الآيات:1 - 3)
	11	سورة السجدة (الآيات:4 - 8)
	12	سورة السجدة (الآيات:9 - 14)
	13	سورة السجدة (الآيات:15 - 22)
	14	سورة السجدة (الآيات:23 - 25)
	15	سورة السجدة (الآيات:26 - 30)
	16	فرض كتابي رقم 2
	17	تصحيح الفرض الكتابي رقم 2 – دعم وتثبيت

الدورة	الأسبوع	الدروس
الدورة الثانية	18	سورة الحجرات (الآيات: 1– 5)
	19	سورة الحجرات (الآيات: 6– 8)
	20	سورة الحجرات (الآيات: 9– 10)
	21	سورة الحجرات (الآية: 11)
	22	سورة الحجرات (الآية: 12)
	23	سورة الحجرات (الآية: 13)
	24	سورة الحجرات (الآيات: 14– 18)
	25	فرض كتابي رقم:1 إنجاز وتصحيح ودعم وتثبيت
	26	سورة (ق) (الآيات: 1– 5)
	27	سورة (ق) (الآيات: 6– 11)
	28	سورة (ق) (الآيات: 12– 18)
	29	سورة (ق) (الآيات: 19– 26)
	30	سورة (ق) (الآيات: 27– 35)
	31	سورة (ق) (الآيات: 36– 40)
	32	سورة (ق) (الآيات: 41– 45)
	33	فرض كتابي رقم 2
	34	تصحيح الفرض الكتابي رقم 2– دعم وتثبيت

الدرس 1

سورة لقمان

(الآيات: 1-4)

أهداف الدرس :

1. أن أتعرف مفردات الآيات ومضامينها العامة.
2. أن أستنتج بعض خصائص القرآن الكريم وبعض أوصاف المؤمنين.
3. أن أقوي إيماني بعظمة القرآن الكريم وأهتدي بهديه في حياتي.

تمهيد :

سورة لقمان مكية، إلا الآيات: السابعة والعشرين، والثامنة والعشرين، والتاسعة والعشرين، فمدنية، وهي أربع وثلاثون آية، نزلت بعد الصافات. سميت بهذا الاسم؛ لاشتمالها على قصة لقمان الحكيم.

عالجت سورة لقمان قضايا العقيدة، من الإيمان بالله تعالى وتوحيده، والنبوة والرسالة، والإيمان بالبعث واليوم الآخر. وتناولت أيضا مكارم الأخلاق التي جاءت في وصية لقمان لابنه، ثم أكدت على ضرورة إعمال العقل وذم التقليد.

فما هي خصائص القرآن الكريم؟ وما هي صفات المؤمنين المضمنة في هذه الآيات؟

الآيات :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝1 هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝2 ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝3 أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝4﴾ [لقمان: 1-4]

الفهم :

الشرح:

الٓمٓ : حروف متقطعة، لا يدرك معناها إلا الله تعالى.

الْحَكِيمِ : الذي لا خلل فيه ولا تناقض.

لِلْمُحْسِنِينَ: للمتقين الذين يحسنون العمل ويراقبون الله تعالى في كل شؤونهم.

يُوقِنُونَ : يصدقون تصديقا جازما.

الْمُفْلِحُونَ : الفائزون.

استخلاص مضامين الآيات:

1. استخرج(ي) من النص خصائص القرآن الكريم.
2. ما هي صفات المؤمنين الواردة في الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: خصائص القرآن الكريم:

تضمنت الآيات خصائص القرآن الكريم ومميزاته، وهي كالتالي:

قال تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ من الحروف المقطعة في القرآن الكريم، التي لا يعلمها إلا الله، ويرى بعض المفسرين أن الله تعالى ابتدأ هذه السور بمثل هذه الحروف، ليشير إلى أن القرآن مؤَلف من جنس ما يؤلف منه العرب كلامهم، ومع ذلك عجزوا عن أن يأتوا بمثله، فتلك معجزة الله المنزلة على رسوله محمد ﷺ.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْحَكِيمِ﴾ تلك الآيات العظيمة القدر والمنزلة، آيات القرآن الكريم ذي الحكمة البالغة الذي لا نسخ ولا خلل يطرأ عليه بعد اكتمال نزوله، وهو الحكيم الذي أحكمت آياته وأحكامه، فلا خلل فيه ولا تناقض.

﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ﴾ أي: أنزلها الله عز وجل هدى وإرشادا للمحسنين، الذين أتقنوا أعمالهم وأحسنوا القصد وأخلصوا النية لله تعالى، اقتداء برسول الله ﷺ.

ثانيا: أوصاف المؤمنين:

بعد الحديث عن بعض خصائص القرآن الكريم، انتقلت الآيات تبين أوصاف المؤمنين والأعمال التي يقومون بها. فقد وصفهم الله تعالى بصفة الإحسان، حيث قال سبحانه ﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ﴾ الذين يراقبون الله تعالى في كل أقوالهم وأفعالهم وفي أمورهم كلها.

بعد ذلك وصف الله تعالى هؤلاء المحسنين بأنهم يقيمون الصلاة فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: يؤدونها في أوقاتها المحددة على الوجه الأكمل تامة دون نقص، مستوفية لشروطها وفرائضها، وسننها، وفضائلها، وآدابها وخشوعها، ويحافظون عليها في كل وقت وحين، كما كان يؤديها رسول الله ﷺ الذي قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» [صحيح ابن حبان، كتاب الصلاة، باب الآذان].

﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: أي: يُعطونها لُمستحقيها الوارد ذكرهم في سورة التوبة عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: 60].

﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ أي: وهم بالحياة الآخرة يؤمنون إيمانا ثابتا راسخا لا شك فيه ولا تردد.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ أي: أولئك المحسنون الموصوفون بما سبق من الصفات مُتمَكِّنون من الهدى الذي جاءهم من ربهم، وأولئك هم الفائزون وحدهم في الدنيا والآخرة. والإتيان بحرف الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ هُدٗى﴾ تشبيه لتمكنهم من الهدى وثباتهم عليه بهيأة الراكب في الاعتلاء والتمكن على المركوب.

وقد قررت هذه الآيات توحيد الله تعالى والإيمان به وباليوم الآخر، كما تضمنت جزاء الله تعالى لعباده المؤمنين المحسنين، الذين يؤدون العبادات ويتقنونها، فجازاهم الله على ذلك بهدايتهم إلى الطريق المستقيم وجعلهم من المفلحين الفائزين يوم القيامة.

التقويم :

1. بين(ي) لم كان القرآن الكريم هدى ورحمة للمحسنين.
2. كيف تتمثل(ين) صفات المحسنين لتحظى بجزائهم يوم القيامة؟
3. استنتج (ي) الفوائد التي تضمنتها هذه الآيات.

الاستثمار :

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ الله: «جَعَلَ اللهُ هَذَا الْقُرْآنَ هُدًى وَشِفَاءً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ، وَهُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْعَمَلَ فِي اتِّبَاعِ الشَّرِيعَةِ، فَأَقَامُوا الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ بِحُدُودِهَا وَأَوْقَاتِهَا، وَمَا يَتْبَعُهَا مِنْ نَوَافِلِ رَاتِبَةٍ وَغَيْرِ رَاتِبَةٍ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِمْ إِلَى مُسْتَحِقِّيهَا، وَوَصَلُوا قَرَابَاتِهِمْ وَأَرْحَامَهُمْ، وَأَيْقَنُوا بِالْجَزَاءِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَرَغِبُوا إِلَى اللهِ فِي ثَوَابِ ذَلِكَ، لَمْ يُرَاؤُوا بِهِ وَلَا أَرَادُوا جَزَاءً مِنَ النَّاسِ وَلَا شُكُورًا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أَيْ: عَلَى بَصِيرَةٍ وَبَيِّنَةٍ وَمَنْهَجٍ وَاضِحٍ وَجَلِيٍّ ﴿وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أَيْ: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

[تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 6 / 330]

استنتج (ي) من النص صفات المحسنين.

الإعداد القبلي :

تأمل (ي) الآيات: 5 - 10 من سورة لقمان وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. ابحث (ي) عن مدلولات العبارات الآتية: لَهْوَ الْحَدِيثِ - مُّهِينٌ - وَقْرًا - رَوَاسِيَ - أَن تَمِيدَ - وَبَثَّ.
2. بين (ي) من خلال الآيات أدلة وحدانية الله تعالى.

الدرس
2

سورة لقمان
(الآيات: 5 – 10)

أهداف الدرس:

1. أن أتعرف مفردات ومضامين الآيات موضوع الدرس.
2. أن أقارن بين أحوال الناس في علاقتهم بالقرآن الكريم.
3. أن أتمثل القيم والآداب التي ترشد إليها الآيات.

تمهيد:

بعد أن بين الله تعالى أن القرآن الكريم كتاب حكمة وهداية لعباده المحسنين، الذين أثنى عليهم بخير ووعدهم بالفوز والفلاح؛ انتقل سبحانه ليندد بصنف آخر من الناس أعرضوا عن القرآن وتمسكوا بالأخبار الباطلة فكان جزاؤهم العذاب المهين؛ وأكد وعده السابق بالفلاح والنجاح للمؤمنين المقبلين على تلاوته المتمسكين بأوامره والمنتهين عن نواهيه، والملتزمين بحدوده. ثم أعقب ذلك ببيان قوته الباهرة على خلق السماء بغير عمد تستند عليها، مما يدل على عظيم قدرته، ليوبخ بعدها المشركين الذين يتركون عبادة الخالق القادر المبدع، وينشغلون بعبادة المخلوق العاجز الضعيف.

فما هو جزاء المعرضين عن القرآن الكريم والمقبلين عليه؟ وما هي مظاهر قدرة الله تعالى؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿وَمِنَ اَ۬لنَّاسِ مَن يَّشْتَرِے لَهْوَ اَ۬لْحَدِيثِ لِيَضِلَّ عَن سَبِيلِ اِ۬للَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُؤاً اُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٞ مُّهِينٞ (5) وَإِذَا تُتْلَيٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّيٰ مُسْتَكْبِراٗ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِےٓ أُذْنَيْهِ وَقْراٗ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ اَلِيمٍ (6) اِنَّ اَ۬لذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ اُ۬لصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ اُ۬لنَّعِيمِ (7) خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اَ۬للَّهِ حَقّاٗ وَهُوَ اَ۬لْعَزِيزُ اُ۬لْحَكِيمُ (8) خَلَقَ اَ۬لسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٖ تَرَوْنَهَا وَأَلْق۪يٰ فِے اِ۬لَارْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَأَنزَلْنَا مِنَ اَ۬لسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٖ كَرِيمٍ (9) هَٰذَا خَلْقُ اُ۬للَّهِ فَأَرُونِے مَاذَا خَلَقَ اَ۬لذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ اِ۬لظَّٰلِمُونَ فِے ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ (10)﴾ [لقمان: 5–10]

الفهم :

الشرح:

لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ : الحديث الملهي عن الخير والمعروف.

وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا : يسخر من آيات الله ويستهزئ بها.

مُّهِينٌ : مذل.

وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا : رجع متكبرا، ومنعه العناد من الانتفاع بآيات الله كأنه لم يسمعها.

وَقْرًا : ثقلا يمنع من السمع كالصمم.

رَوَٰسِيَ : جبالا ثوابت أو شوامخ.

أَن تَمِيدَ : لئلا تضطرب وتتحرك.

وَبَثَّ : بسط ونشر.

استخلاص مضامين الآيات:

1. بم وصف الله المعرضين عن القرآن وما هي عاقبة ذلك؟
2. ما جزاء المؤمنين بآيات الله تعالى؟
3. استنتج (ي) من الآيات ما يدل على وحدانية الله تعالى.

التفسير:

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: إعراض بعض الناس عن القرآن:

لما ذكر الله تعالى، أوصاف المؤمنين السعداء وهم الّذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه، ذكر عقبه حال الأَشقياء الذين أعرضوا عن القرآن الكريم، ولم ينتفعوا بهديه، وأقبلوا على استماع الباطل من الحديث.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: ومن الناس من يعرض عن القرآن الكريم ويشتري باطل الحديث وما لا خير فيه من الكلام، ويقصه على الناس وينشره بينهم، ويحسِّنه عندهم؛ ليضلَّ الناس عن طريق الهدى إلى طريق الهوى، بغير بصيرة حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق، جهلًا منه بما هو عليه من إثم وما يرتكبه من جُرْم، ويتخذ آيات الله ووحيه سخرية، وهذا النوع من الناس ليس له من الله إلا عذاب يهينهم ويذلهم ويخزيهم.

والمقصود بشراء لهو الحديث هنا حبه واستحسانه، فالشراء هنا مجاز، مثل قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: 15].

«وَالْأَصَحُّ فِي الْمُرَادِ بِقَوْلِهِ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ أَنَّهُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ فَإِنَّهُ كَانَ يُسَافِرُ فِي تِجَارَةٍ إِلَى بِلَادِ فَارِسَ فَيَتَلَقَّى أَكَاذِيبَ الْأَخْبَارِ عَنْ أَبْطَالِهِمْ فِي الْحُرُوبِ الْمَمْلُوءَةِ أُكْذُوبَاتٍ فَيَقُصُّهَا عَلَى قُرَيْشٍ فِي أَسْمَارِهِمْ وَيَقُولُ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ يُحَدِّثُكُمْ بِأَحَادِيثِ عَادٍ وَثَمُودَ فَأَنَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَحَادِيثِ رُسْتُمَ وَإِسْفِنْدِيَارَ وَبَهْرَامَ» [التحرير والتنوير، لابن عاشور: 21 / 142].

تواصل الآيات الكريمة بيان حال المعرض عن ذكر الله وجزائه، قال سبحانه ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: وإذا تليت على هذا الضَّال المعرض عن القرآن الكريم آيات الله، ولى عنها متكبرا وهو مبالغ في كبره، ويظهر للناس أنه لم يسمعها، وكأنه أصيب بصمم في أذنيه؛ فيأمر الله تعالى رسوله ﷺ بإنذار هذا الإنسان بأنه سيلقى عذابا أليما يوم القيامة إن هو استمر على حاله.

ثانيا: بيان حال المؤمنين بآيات الله:

بعد بيان حال المعرضين عن القرآن الكريم، تعرضت الآيات، لبيان ما يقابل هذا الصنف من الناس وهم المؤمنون بآياته المقبلون عليها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: إنَّ الذين آمنوا بالله وبآياته حق الإيمان وأخلصوا له بالأعمال الصالحة سيجزيهم الله تعالى بإدخالهم جنَّات يتنعمون فيها بأنواع النعم التي لا تنقطع؛ يعدهم بذلك وعدا حقا لا شك فيه، فالله تعالى لا يخلف وعده، وهو تعالى عزيز في ملكه لا يمنع من الإنعام على من أحسن وأطاع، حكيم في صنعه وتدبيره.

ثالثا: دليل وحدانية الله تعالى:

لما ذكر الله تعالى في الآية السابقة أنه عزيز حكيم، نبه تعالى إلى دلائل قدرته وآثار عظمته لإقامة البراهين على وحدانيته، فقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾ أي: خلق السّموات بغير أعمدة كما ترونها، وألقى في الأرض جبالا راسخة ثابتة، ونشر فيها مختلف أنواع الدواب والحيوانات وأنزل الماء من السماء وانبت في الأرض من كل شيء زوجا نافعا ليدل على أنه الخالق الرازق القادر المنعم على المخلوقات كلها مما يدل دلالة قاطعة على وحدانيته تعالى.

ثم توجه الله تعالى إلى المشركين الذين يعبدون المخلوقات ويتركون الخالق، فخاطبهم بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ أي: كل ما ذكر في الآية السابقة خلق الله، فما ذا خلقت آلهتكم التي تعبدونها من دون الله.

وفي ختام هذه الآية يقرر تعالى ضلال المشركين وخروجهم عن جادة الصواب بوضعهم الشيء في غير موضعه لجهلهم وعماهم فيقول عز وجل: ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ أي: لكن الظالمون المشركين بالله، والعابدون سواه في جهل وعماية، وضلال واضح ظاهر لا خفاء فيه.

وقد قررت هذه الآيات قدرة الله وعظمته في خلق السموات بغير عمد تنبيها لعباده بأنه الخالق الواحد مدبر هذا الكون الذي يستحق العبادة والتقديس والتنزيه، كما ذكرت الآيات بجود الله تعالى وإنعامه على عباده بجنات النعيم جزاء لهم على إيمانهم وعملهم الصالح.

التقويم :

1. قارن (ي) بين حال المؤمنين، وحال المعرضين عن القرآن الكريم.
2. بين (ي) بعض الأدلة على قدرة الله تعالى ووحدانيته.
3. لماذا استحق الله تعالى العبادة دون غيره؟

الاستثمار:

قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ (5) وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ (6) يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ (7) وَإِذَا

عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (8) مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (9) ﴾ [الجاثية: 5-9].

تأمل (ي) الآيات وبين(ي) جزاء من يعرض عن آيات الله تعالى ويستهزئ بها.

الإعداد القبلي :

تأمل (ي) الآيات: 11 – 14 من سورة لقمان وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح (ي) العبارات التالية: **لُقْمَٰنَ - ٱلْحِكْمَةَ - وَهْنًا - جَٰهَدَاكَ** .
2. استخرج (ي) من الآيات ما تضمنته من وصايا لقمان لابنه.

الدرس 3

سورة لقمان
(الآيات: 11 – 14)

أهداف الدرس :

1. أن أنمي رصيدي اللغوي من خلال تعرف مفردات ومعاني الآيات.
2. أن أدرك قيمة توحيد الله تعالى والبر بالوالدين.
3. أن أتمثل المبادئ والقيم الحميدة التي ترشد إليها الآيات في سلوكي ومعاملاتي.

تمهيد:

بعد بيان الله تعالى فساد اعتقاد المعرضين عن القرآن الكريم الذين يعبدون غير الله تعالى ممن لا يخلق شيئا، وتقرير ظلمهم وضلالهم، انتقل سبحانه لبيان وصايا لقمان الحكيم الذي توصل إلى إثبات توحيد الله تعالى بمقتضى الحكمة، وقدم للناس وصايا ثمينة تدعو إلى مكارم الأخلاق وحسن التعامل مع الناس والنهي عن الخصال الذميمة التي تنشر الأحقاد والضغائن بين أفراد المجتمع الإنساني.

فما هي وصايا لقمان الحكيم التي تضمنتها آيات الدرس؟ وما هي الفوائد التي نستفيدها منها؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنُ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَّشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ (11) وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِابْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (12) وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنُ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ (13) وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (14)﴾ [لقمان: 11 – 14].

الفهم :

الشرح:

لُقْمَانَ : اسم رجل حكيم.

ٱلْحِكْمَةَ : الإِصابة في القول والعمل.

وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ : ضعفا على ضعف.

وَفِصَٰلُهُۥ : فطامه.

جَٰهَدَاكَ : بذلا جهدهما وألحا عليك في حملك على الشرك.

استخلاص مضامين الآيات:

1. بماذا أنعم الله على عبده لقمان؟ وبماذا أمره؟
2. حدد (ي) وصايا لقمان لابنه انطلاقا من الآيات.

التفسير:

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: شكر الله تعالى على نعمه:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ افتتح الله تعالى هذه الآيات بحرفي توكيد: لام القسم و"قد"، للتنبيه على الإخبار بشيء مهم. ولُقْمان رجل ينطق بالحكمة، ولفظه غير منصرف؛ لأن في آخره ألفا ونونا زائدتين. وجمهور المفسرين على أنه لم يكن نبيا، بل كان رجلا صالحا حكيما آتاه الله الفهم الدقيق والرأي الصائب، وحِكَمُه كثيرة مأثورة ومشهورة، وهذا ما يتأكد من خلال الآيات التي تناولت وصاياه، فلم يذكر فيها ما يدل على أنه نبي معضد بالوحي.

وقد أمره تعالى بشكره على ما أعطاه من الحكمة والرأي السديد الذي تعود فائدته على نفس الشاكر لا للمشكور، أما من كفر نعم الله تعالى وجحدها فإن الله تعالى غني لا يحتاج لشكر أحد، ولا يضره كفر أحد، وله الحمد في كل وقت وحين.

ثانيا: النهي عن الشرك بالله تعالى:

ذكر الله تعالى بعض وصايا لقمان لابنه التي استهلها بنهيه عن الشرك بالله وتنفيره منه، باعتباره من أكبر الكبائر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ يخبر الله تعالى رسوله ﷺ بأن لقمان الحكيم قدم لابنه موعظة، حين قال له ناصحا مرشدا: يا بني، لا تشرك بالله أحداً، فإن الشرك أكبر أنواع الظلم وأعظمها لأنه يسوي بين الخالق والمخلوق، ولا يفعل ذلك إلا من لا يميز بعقله.

ثالثا: الأمر ببر الوالدين:

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ هذه الآية والتي تليها اعتراض في أثناء وصية لقمان لابنه على وجه التأكيد تنبيها وإرشادا إلى حق يتعلق بالوالدين اللذين كانا سببا في وجود الولد، مما يوجب عليه برهما وطاعتهما بالمعروف.

وذكّر الله تعالى الإنسان على وجه الخصوص بما عانته أمه في الحمل ضَعفا على ضعف لأن الحمل كلما عظم ازدادت الحامل به ضعفا، ولما عانته في الولادة والرضاعة التي قد تصل مدتها عامين مع ما تكابده الأم بسبب الولد من الجهد والمشقة والعناء، مما يوجب عظيم حقها، الأمر الذي يفرض عليه تخصيصها بمزيد من العناية والرعاية، وجعل حقها أعظم من حق الأب؛ كما ورد في الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ» [صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة].

ثم أمر الله تعالى الإنسان بشكره سبحانه على نعمه التي تفضل بها عليه وشكر والديه، وذكّره بحتمية العودة والرجوع إليه ليجازيه بأفعاله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

ولما حث الله تعالى الإنسان على طاعة والديه، قيد سبحانه هذه الطاعة حتى لا يتوهم أنها مطلقة في كل شيء فقال سبحانه: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (14)﴾ أي: إن حملاك وأمراك بالإشراك بالله تعالى، فلا تطعهما فيما أمراك به، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ لكن هذا لا يمنعك من مصاحبتهما والإحسان إليهما وفاء بحقهما وتعبهما من أجلك، ولو كانا مشركين.

بعد هذا وجه الله الإنسان لأن يسلك طريق من رجع إلى الله بالتوحيد والطاعة وإخلاص العبادة لله وحده؛ لأن الخلق كلهم سيرجعون إلى الله تعالى، حينها سيخبرهم بما فعلوه في الدنيا ويجازي كل عامل بعمله.

وقد نزل قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ في أبي بكر - رضي الله عنه - وذلك أنه حين أسلم أتاه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعثمان وطلحة والزبير، فقالوا لأبي بكر - رضي الله عنه - آمَنْتَ وَصَدَّقْتَ مُحَمَّدًا عليهِ الصلاةُ والسلامُ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: نَعَمْ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَآمَنُوا وَصَدَّقُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ لِسَعْدٍ: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -. [أسباب النزول للواحدي، ص: 346].

والحكمةُ من ذكرِ الوصية بالوالدين - ضمن وصايا لقمان - تأكيد ما أفادته الآية الأولى من تقبيح أمر الشرك ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ فكأنه تعالى يقول: مع أننا وصينا الإنسان بوالديه، وأمرناه بالإحسان إليهما والعطف عليهما، وألزمناه طاعتهما بسبب حقهما العظيم عليه، مع كل هذا فقد نهيناه عن طاعتهما في حالة الشرك والعصيان، لأن الإشراك بالله من أعظم الذنوب، وهو في نهاية القبح والشناعة. [صفوة التفاسير، للصابوني: 2/ 452].

وقد قررت هذه الآيات الكريمة مبدأ توحيد الله تعالى، ونددت بالشرك الذي اعتبرته ظلما عظيما. كما حثت على وجوب بر الوالدين والإحسان إليهما في غير معصية مقررة مبدأ «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، كما أرشدت إلى ضرورة اتباع سبيل المؤمنين للنجاة عند الرجوع إلى الله تعالى يوم القيامة.

التقويم :

1. لماذا اعتبر الله تعالى الشرك ظلما عظيما؟
2. لما ذا خصت الأم بمزيد من العناية في وصايا لقمان؟
3. كيف تستفيد من وصايا لقمان لابنه في محيطك الأسري؟

الاستثمار:

قال المفسرون: «نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: 8]، فِي سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَسْلَمَ قَالَتْ لَهُ أُمُّهُ حَمْنَةُ: يَا سَعْدُ بَلَغَنِي أَنَّكَ صَبَوْتَ

فَوَاللهَّ لَا يُظِلُّنِي سَقْفُ بَيْتٍ مِنَ الضِّحِّ وَالرِّيحِ وَلَا آكُلُ وَلَا أَشْرَبُ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ - ﷺ - وَتَرْجِعَ إِلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ، وَكَانَ أَحَبَّ وَلَدِهَا إِلَيْهَا، فَأَبَى سَعْدٌ، فَصَبَرَتْ هِيَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ تَأْكُلْ وَلَمْ تَشْرَبْ وَلَمْ تَسْتَظِلَّ بِظِلٍّ حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا، فَأَتَى سَعْدٌ النَّبِيَّ - ﷺ- وَشَكَا ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ وَالَّتِي فِي لُقْمَانَ وَالْأَحْقَافِ». [أسباب النزول للواحدي، ص: 340-341].

بين (ي) من خلال النص حدود طاعة الوالدين.

الإعداد القبلي :

تأمل (ي) الآيات: 15 - 18 من سورة لقمان وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح (ي) العبارات التالية: حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ - عَزْمِ الْأُمُورِ - تُصَعِّرْ خَدَّكَ - مُخْتَالٍ فَخُورٍ - وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ
2. استخرج (ي) من الآيات ما اشتملت عليه من وصايا.

الدرس

4

سورة لقمان

(الآيات: 15 – 18)

أهداف الدرس

1. أن أتعرف معاني الآيات ومضامينها العامة.
2. أن أستنتج قيمة وصايا لقمان لابنه في تقوية الصلة بالله تعالى.
3. أن أتمثل ما تضمنته الآيات من وصايا وحكم في تعاملي مع محيطي.

تمهيد :

واصلت هذه الآيات الكريمة الحديث عن وصايا لقمان لابنه في مجال التوحيد والعبادات والمعاملات والأخلاق، فبعد النهي عن الشرك بالله تعالى وما صاحبه من الحث على بر الوالدين والإحسان إليهما، قدمت هذه الآيات الكريمة مجموعة أخرى من الوصايا، شملت مراقبة الله تعالى في السر والعلن، كما تضمنت وصايا متعلقة بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على المصائب، ثم وصايا أخرى سلوكية وأخلاقية ترشد الإنسان للأسلوب الصحيح في التعامل مع الناس والتعايش معهم.

فما هي أهمية هذه الوصايا في تقوية صلة الإنسان بالله تعالى؟ وكيف تسهم في تهذيب أخلاقه وسلوكه؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَاتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (15) يَٰبُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ وَامُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (16) وَلَا تُصَٰعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (17) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (18)﴾ [لقمان: 15 – 18]

الفهم :

الشرح:

ﺣَﺒَّﺔٖ ﻣِّﻦۡ ﺧَﺮۡدَلٖ : الخردل نبات حَبُّه صغير جدا، يضرب به المثل في الصغر.

مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ : مما عزمه الله وأمر به.

تُصَعِّرۡ خَدَّكَ : تمل عنقك افتخارا.

مُخۡتَالٖ فَخُورٖ : متبختر في مشيته، معتز بها.

وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ : واجعل مشيك متوسطا بين الإسراع والبطء.

استخلاص مضامين الآيات:

1. حدد (ي) مظاهر قدرة الله وسعة علمه من خلال الآيات.
2. استخرج (ي) من الآيات وصايا لقمان لابنه.

التفسير :

ما زال سياق الآيات مستمرا في سرد وصايا لقمان لابنه، فبعد أن قدم لقمان لابنه وصايا تتعلق بتوحيد الله تعالى وما صاحب ذلك من البر بالوالدين والإحسان إليهما، انتقلت الآيات لتعرض ألوانا أخرى من الوصايا، وهي كالآتي:

أولا: استحضار مراقبة الله تعالى وعدم الاستخفاف بالأعمال مهما صغرت:

قال تعالى حكاية عن لقمان الحكيم: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ تابع لقمان الحكيم تقديم وصاياه لابنه، مكررا نداءه له بقوله ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ تجديدا لنشاطه وحثا له على الانتباه، بأن أعمال الإنسان مهما تناهت في الصغر بأن كانت قدر حبة خردل، وكانت - بصغرها هذا - في أخفى موضع كجوف صخرة، أو في أعلى مكان في السموات أو الأرض، فإن الله تعالى قادر على إحضارها، ومحاسبة صاحبها عليها يوم القيامة. فالله تعالى يطلع على بواطن الأمور ويصل علمه إلى كل شيء خفي.

والتعبير بالصخرة يدل على المبالغة. والتعبير بحبة من خردل، يدل على أن الله يأتي بالقليل والكثير، من أعمال العباد فعبّر بحبة الخردل ليدل على ما هو أكثر.

ثانيا: الأمر بإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ذلك:

بعد نهي لقمان لابنه عن الشرك، وتنبيهه على قدرة الله تعالى وضرورة استحضار مراقبته، شرع في توجيهه لأداء العبادات وعمل الطاعات، قال الله تعالى حكاية عنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ تكرر النداء أيضا في هذه الآية لما فيه من تجديد نشاط السامع وتنبيهه. فحث فيه لقمان ابنه على إقامة الصلاة، والمراد بإقامة الصلاة: أداؤها كاملة بشروطها وأركانها وأوقاتها؛ وخصت الصلاة هنا دون سائر العبادات لمكانتها وأهميتها، لأنها عماد الدين وقاعدته الأساس، من حافظ عليها كان لما سواها أحفظ، ومن ضيعها كان لما سواها أضيع.

وبعد حث لقمان ابنه على إقامة الصلاة، أرشده إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله تعالى في كل ما أوجب عليه، والنهي عن المنكر في كل ما حرم الله تعالى برفق ولين.

ومما ينبغي التنبيه إليه في هذا المقام أنه يجب على كل مرب أو معلم أو ناصح أو موجه لغيره أن يمتثل ذلك هو في نفسه فيأتمر بالمعروف ويزدجر عن المنكر قبل غيره. ولقد أحسن أبو الأسود الدؤلي حين قال:

ابْدَأْ بِنَفْسِك فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا ... فَإِذَا انْتَهَتْ عَـنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ

مع العلم أن تغيير المنكر ثلاث درجات: باليد، وهذا خاص بالحاكم، وباللسان وهو دور العلماء، وبالقلب وهو لعامة الناس، لما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» [صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان..].

ثم حث لقمان ابنه على تحمل الأذى ومصائب الحياة وشدائدها عموما، أو الصبر على ما يصيبه بسبب الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر؛ فالصبر على المصائب من عزم الأمور، أي: مما أمر الله به على وجه العزم والإيجاب، أو من مكارم الأخلاق التي يعزم عليها أهل الحزم والجد. ولفظ العزم مصدر يراد به المفعول أي: من معزومات الأمور.

ثالثا: حسن الآداب مع الناس والتعامل معهم:

بعد نصائح لقمان لابنه بالعبادات السابقة، نهاه عن خصال ذميمة محرمة تتمثل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ الصَّعَر في اللغة: الميل، أي: لا تولّ الناس خدك وتعرض عنهم تكبرا عليهم واستعلاء. ولا تمش في الأرض متكبرا متخايلا مزهوا بقوتك، متبخترا ومعجبا بنفسك؛ فالله تعالى لا يحب المعجب بنفسه المتباهي على غيره.

وقوله سبحانه ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ أي: اعتدل في مشيك، ولا تسرع إسراعا يدل على الطيش والخفة، ولا تبطئ إبطاء يدل على الفخر والكبر، واخفض صوتك فلا ترفعه أكثر من المطلوب وفيما لا فائدة فيه؛ فإن أقبح وأفظع الأصوات لصوت الحمير.

وقد قررت هذه الآيات وجوب مراقبة الله تعالى في السر والعلن، وعدم الاستخفاف بالأعمال مهما صغرت لأن الإنسان سيحاسب على أعماله يوم القيامة صغيرها وكبيرها. كما أكدت على وجوب إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ما يصيب الإنسان من أذى. ثم تناولت النهي عن مجموعة من الأخلاق السيئة، من تكبر واختيال ورفع للصوت، إرشادا للإنسان إلى إحسان التعامل مع الناس والكف عن أذاهم.

التقويم :

1. ما هي أهمية استحضار مراقبة الله عز وجل ؟
2. حدد (ي) ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
3. بين (ي) الآخلاق التي ينبغي الالتزام بها في التعامل مع الناس؟

الاستثمار :

رَوَى إِمَامُنَا مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **(لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهَّ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ)**. فَالتَّدَابُرُ الْإِعْرَاضُ وَتَرْكُ الْكَلَامِ وَالسَّلَامِ وَنَحْوِهِ. وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْإِعْرَاضِ تَدَابُرٌ لِأَنَّ مَنْ أَبْغَضْتَهُ أَعْرَضْتَ عَنْهُ وَوَلَّيْتَهُ دُبُرَكَ، وَكَذَلِكَ يَصْنَعُ هُوَ بِكَ. وَمَنْ أَحْبَبْتَهُ أَقْبَلْتَ عَلَيْهِ بِوَجْهِكَ وَوَاجَهْتَهُ لِتَسُرَّهُ وَيَسُرُّكَ، فَمَعْنَى التَّدَابُرِ مَوْجُودٌ فِيمَنْ صَعَّرَ خَدَّهُ، وَبِهِ فَسَّرَ مُجَاهِدٌ الْآيَةَ. [تفسير القرطبي: 14 / 70].

1. بين (ي) من خلال النص الأخلاق الذميمة التي نهى عنها رسول الله ﷺ.
2. وضح (ي) معنى التدابر ثم استدل بالآيات موضوع الدرس على ذلك.

الإعداد القبلي :

تأمل (ي) الآيتين: 19–20 من سورة لقمان وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح (ي) العبارات الآتية: سَخَّرَ – وَأَسْبَغَ – يُجَادِلُ – عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ
2. استنتج (ي) كرم الله تعالى للإنسان من خلال هذه الآيات.

الدرس
5

سورة لقمان
(الآيات: 19 – 20)

أهداف الدرس:

1. أن أتعرف معاني مفردات الآيتين ومضامينها العامة.
2. أن أستنتج دلائل قدرة الله تعالى وفضله على خلقه.
3. أن أتجنب الجدال العقيم المبني على الهوى والتقليد الأعمى.

تمهيد:

بعد تحذير الله تعالى الإنسان من الشرك، وحثه على مكارم الأخلاق المضمنة في وصايا لقمان الحكيم، أكد سبحانه على دلائل قدرته ووحدانيته، ونبه الإنسان إلى ما امتن به عليه من نعمه الظاهرة والباطنة، وذم من يخاصم بغير علم ويتبع الشيطان الرجيم في كل ما يوحي به إليه.

فما هي دلائل قدرة الله الشاهدة على وحدانيته ؟ وما هي الأفعال التي ذمها الله تعالى ونهى عنها في الآيتين؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (19) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (20)﴾ [لقمان: 19 – 20]

الفهم :

الشرح:

سَخَّرَ : ذلّل.

أَسْبَغَ : أتم وأكمل.

يُجَادِلُ : يخاصم بغير علم.

عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ : عذاب النار التي تستعر وتلتهب.

استخلاص مضامين الآيات:

1. بما ذا أنعم الله تعالى على الإنسان؟
2. من ذم الله تعالى في هاتين الآيتين؟

التفسير

تضمنت هاتان الآيتان ما يأتي:

أولا: إكرام الله تعالى للإنسان بنعمه الظاهرة والباطنة:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ألم تعلموا أيها الناس أن الله العظيم الجليل ذلل لكم ما في السموات من شمس وقمر ونجوم تستضيئون وتهتدون بها في ظلمات البر والبحر؛ ومن سحاب يحمل إليكم المطر فينتفع به الإنسان والأنعام وسائر المخلوقات. وسخر لكم ما في الأرض من ماء وشجر ودواب، وعمكم بنعمه الظاهرة على الأبدان والجوارح، والباطنة في العقول والقلوب.

وفي هذا تنبيه بالخلق على الخالق، ذلك أن تسخير هذه الأمور العظام من شمس وقمر ونجوم وسحاب وغيرها؛ إنما هو بمسخر وخالق وهو الله سبحانه وتعالى.

والاستفهام في ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ﴾ تقرير لعدم الرؤية، حيث نزلهم منزلة من لم يروا آثار ذلك التسخير؛ لكونهم لم ينتفعوا بها في إثبات الوحدانية لله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ أي: أكمل وأتم عليكم نعمه الكثيرة؛ لأن الإفراد يدل على الكثرة، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: 36] والظاهرة: معناها الواضحة، والباطنة: الخفية. فكم من نعمة في بدن الإنسان لا يعلمها إلا العلماء المتخصصون، وكم من نعمة لا يعلمها أهل عصر ثم تنكشف لمن بعدهم.

ثانيا: ذم من يجادل في الله بغير علم ويتمسك بتقاليد الآباء المخالفة للشرع:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ مع هذه النعم الكثيرة التي تفضل الله تعالى بها على الناس، تجد منهم من يجادل ويخاصم في الله وفي صفاته وأفعاله بغير علم ولا فهم، ولا دليل واضح ولا كتاب بين الحجة، فجدالهم ناشئ عن سوء نظر وسوء تفكير فيما تقتضيه الألوهية من الصفات كالوحدانية وغيرها.

هؤلاء المجادلون في الله بغير علم ولا حجة يتمسكون بآرائهم الباطلة مهما وصلهم من حق وصواب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ أي: وإذا خوطب المجادلون في الله بالجهل والباطل، ودُعوا إلى اتباع ما أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ من شرع وهدى، أعرضوا عن ذلك وفضلوا تقليد ما كان عليه آباؤهم من شرك وعبادة للأصنام، حتى لو جرهم ذلك إلى عذاب السعير، قال تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ الاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ، أي: أيتبعونهم بلا دليل ولو كانوا ضالين، حتى ولو كان الشيطان يدعوهم إلى النار المستعرة ذات العذاب الشديد؟ وهذا كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 169] أي: ولو كان آباؤهم المحتجون بصنيعهم على ضلالة، فلا عقل عندهم ولا هداية معهم.

وتقرر هذه الآيات وحدانية الله تعالى وقدرته على الخلق والإنعام، فإنه خلق السموات بما فيها من مخلوقاته العظيمة، وخلق الأرض وما فيها من نعمه التامة الكاملة لنفع الإنسان. ورغم تعدد الأدلة على قدرة الله تعالى ووحدانيته، فإن بعض الناس يجادلون ويخاصمون في الله تعالى وصفاته بغير حجة ولا علم ولا دليل يرشدهم ولا كتاب بين واضح يبين لهم الحق؛ وإذا طلب منهم اتباع ما أنزل على رسول الله ﷺ من آيات تمسكوا بتقليد آبائهم وأجدادهم حتى ولو كان الشيطان يقودهم إلى نار جهنم المستعرة، وفي هذا ذم للتقليد والجمود؛ لأنه إنكار للعقل وتعطيل له.

التقويم :

1. استخرج (ي) من الآيتين ما يدل على قدرة الله تعالى.
2. بين (ي) مظاهر إنعام الله تعالى على خلقه.
3. لماذا ذم الله تعالى الجدال بغير علم في الآيتين؟

الاستثمار:

«الْجِدالُ مَوْضُوعُهُ فى اللُّغَةُ الْمُدَافَعَةُ، فَمِنْه مَكْرُوهٌ، وَمِنْه حَسَنٌ، فَمَا كَانَ مِنْه تَثْبِيتًا لِلْحَقَائِقِ وَتَثْبِيتًا لِلسُّنَنِ وَالْفَرَائِضِ فَهُوَ الْحَسَنُ، وَمَا كَانَ مِنْه عَلَى مَعْنَى الِاعْتِذارِ وَالْمُدافَعاتِ لِلْحَقَائِقِ فَهُوَ الْمَذْمُومُ».

[شرح صحيح البخاري لابن بطال : 10 / 377].

«وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالسُّنَنِ وَالْفِقْهِ وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ عَنِ الْكَفِّ عَنِ الْجِدَالِ وَالْمُنَاظَرَةِ فِيمَا سَبِيلُهُمُ اعْتِقَادُهُ بِالْأَفْئِدَةِ مِمَّا لَيْسَ تَحْتَهُ عَمَلٌ وَعَلَى الْإِيمَانِ بِمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَالتَّسْلِيمِ لَهُ وَلِمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ كُلِّهَا وَمَا كَانَ فِي مَعْنَاهَا وَإِنَّمَا يُبِيحُونَ الْمُنَاظَرَةَ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَمَا كَانَ فِي سَائِرِ الْأَحْكَامِ يَجِبُ الْعَمَلُ بِهَا» [الاستذكار لابن عبد البر: 2 / 513].

تأمل(ي) النصين ثم بين(ي) مجالات الجدال المحمود والمذموم.

الإعداد القبلي :

تأمل (ي) الآيات: 21 – 25 من سورة لقمان وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح (ي) العبارات الآتية: وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ – عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ – نَضْطَرُّهُمْ – عَذَابٍ غَلِيظٍ
2. استخرج (ي) من الآيات جزاء من انقاد لأمر الله تعالى وجزاء من كفر وجحد بآياته.

الدرس 6

سورة لقمان

(الآيات: 21 – 25)

أهداف الدرس:

1. أن أتعرف مفردات الآيات ومضامينها العامة.
2. أن أستنتج من الآيات قدرة الله تعالى واتصافه بصفات الكمال.
3. أن أخلص عبادتي لله تعالى وحده الخالق القادر.

تمهيد:

بعد بيان الله تعالى حال المجادل بالباطل المقلد لدين آبائه في الآيات السابقة، أتبعه هنا بذكر حال المسلم المفوض أمره لله تعالى المتمسك بإيمانه، ثم تعرض لما يلقاه الرسول ﷺ من عناد وإنكار وبين له أنه لا ينبغي أن يكون ذلك مدعاة لحزنه وضيق صدره؛ لأن دوره ينحصر في تبليغ الرسالة، والله تعالى هو الذي يتكفل بالمنكرين الجاحدين الذين سيجازيهم بما يستحقون من عذاب غليظ يوم القيامة.

فما جزاء من أسلم واستمسك بحبل الله تعالى؟ وما هي عاقبة من أنكر وكذب بيوم القيامة؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ (21) وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (22) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ (23) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (24) لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ (25)﴾

[لقمان: 21–25]

الفهم

الشرح:

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ : يقبل على طاعة الله وينقاد لأوامره.
﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ : بأوثق الأسباب التي لا يخشى انقطاعها.
﴿عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ : مصير الأمور ونهايتها.
﴿نَضْطَرُّهُمْ﴾ : نلزمهم ونلجئهم.
﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ : عذاب شديد ثقيل.

استخلاص مضامين الآيات:

1. استخرج (ي) من الآيات حث الله تعالى على التوجه إليه والاستسلام له.
2. بين (ي) من الآيات تسلية الله عز وجل لرسوله ﷺ على ما يلقاه من العناد والإنكار.

التفسير:

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: الحث على التوجه إلى الله تعالى والاستسلام له:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: ومن يخلص قصده وعبادته لله ويستسلم وينقد لأوامره، وهو محسن في أعماله متقن لها، كما ورد في حديث جبريل حين سأل النبي ﷺ عن الإحسان فأجابه بقوله: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَّ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» [صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ] والمراد بالوجه هنا القصد؛ لأن القاصد للشيء يستقبله بوجهه ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ أي: تمسك بأوثق الأسباب الموصلة إلى رضوان الله تعالى وإلى جناته. وتطلق العروة الوثقى على موضع الإمساك وشدّ الأيدي، وهي هنا تشبيه واستعارة في الإيمان ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ أي: وإلى الله وحده نهاية وخاتمة أمور الناس، حيث سيجازي المحسنين منهم ويعاقب المسيئين. والتعريف في ﴿الْأُمُورِ﴾ للاستغراق، وهو تعميم يراد به أن جميع الأمور موكولة إلى الله تعالى، فهو الذي يجازي كلا بعمله.

ثانيا: تسلية الرسول ﷺ على ما يلقاه من العناد والإنكار:

قال تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بعد بيان حال المؤمن المسلم أمره لله تعالى وجزائه، انتقلت الآيات لتسلية الرسول ﷺ عما يلقاه من كفر قومه وإعراضهم عنه، حيث أخبره تعالى بأنه لا ينبغي له أن يحزن ويهتم بكفر من كفر ولا إنكار من أنكر، ذلك أن مهمة الرسل هي البلاغ كما قال تعالى ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: 45] أما جزاؤهم فإن الله تعالى هو الذي يتكفل به، قال تعالى: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ أي: إلينا رجوعهم ومصيرهم يوم القيامة فنخبرهم بأعمالهم ونظهرها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: عليم بما تكنه قلوبهم وما تخفيه صدورهم من الكفر والتكذيب ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي: نمهلهم زمنا يسيرا في الدنيا يتمتعون بها ثم نلجئهم في الآخرة إلى عذاب فظيع شاق لا تتحمله النفوس.

ولما بين الله تعالى استحقاقهم العذاب الشديد أقام عليهم الحجة في عبادتهم غير الله تعالى مع أنهم يعترفون بأن الله هو خالق المخلوقات من سماء وأرض وغيرهما، فقال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ أي: ولئن سألت أيها الرسول هؤلاء المشركين عمن خلق السموات والأرض؟ لأجابوا: إنه الله الذي خلقهن؛ لأنهم لا يستطيعون إنكار ذلك لوضوحه، لكن مع اعترافهم هذا يستمرون في عبادة الأصنام التي لا تستحق العبادة.

وهذه الآية صريحة في تقرير عقيدة مشركي العرب بكون الله هو الخالق الرازق المتصرف في الكون، مع أنهم يعبدون غيره.

ولما تبين صدق النبي ﷺ وكذب المشركين بإقامة الحجة عليهم، قال الله تعالى آمرا رسوله ﷺ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: قل الحمد لله على ظهور الحجة على المشركين بعبادتهم الأصنام، وتركهم لعبادة الله الخالق لكل شيء ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون من له الحمد ومن له الشكر، ومن يستحق العبادة، هل الله تعالى الخالق الرازق؟ أم الأصنام العاجزة عن نفع نفسها؟ فكيف يبتغون منها نفعهم ؟!

ولما أثبت الحق سبحانه لنفسه صفات القدرة والكمال، أكد ذلك بقوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ أي: إن كل ما في السموات والأرض ملك لله تعالى، وإنه الغني عن الناس، فلا يحتاج إلى عبادة خلقه، وهو الحميد المستوجب للحمد والشكر، سواء آمنوا به أم جحدوه.

وتؤكد هذه الآيات على ضرورة التوجه إلى الله تعالى والاستسلام له؛ لأنه هو الذي بيده الأمر كله، وله عاقبة الأمور، أما عناد المشركين وإنكارهم فينبغي أن لا يحزن المسلمين، وإنما يجب أن يوكل الأمر فيه لله وحده ليجازيهم على صنيعهم يوم القيامة.

التقويم:

1. وضح (ي) جزاء من أخلص عبادته لله وحده وانقاد لأوامره.
2. أين تتجلى مظاهر قدرة الله تعالى واستغناؤه عن خلقه؟
3. بين (ي) جزاء المنكرين المكذبين برسالة النبي ﷺ.

الاستثمار:

«الْمُشْرِكُونَ مُعْتَرِفُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى مُسْتَقِلٌّ بِخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَتَسْخِيرِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ لِعِبَادِهِ، وَمُقَدِّرُ آجَالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهَا وَاخْتِلَافِ أَرْزَاقِهِمْ فَفَاوَتَ بَيْنَهُمْ، فَمِنْهُمُ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا يُصْلِحُ كُلاًّ مِنْهُمْ، ومَنْ يَسْتَحِقُّ الْغِنَى مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْفَقْرَ، فَذَكَرَ أَنَّهُ المستبدُّ بِخَلْقِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَفَرِّدُ بِتَدْبِيرِهَا، فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلِمَ يُعْبَدُ غَيْرُهُ؟ وَلِمَ يُتَوَكَّلُ عَلَى غَيْرِهِ؟ فَكَمَا أَنَّهُ الْوَاحِدُ فِي مُلْكِهِ فَلْيَكُنِ الْوَاحِدَ فِي عِبَادَتِهِ،... وَقَدْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَعْتَرِفُونَ بِذَلِكَ، كَمَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي تَلْبِيَتِهِمْ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ» [تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 6 / 294 (بتصرف)].

تأمل (ي) النص ثم بين (ي) تناقض المشركين في عقيدتهم.

الإعداد القبلي :

اقرأ (ئي) الآيات 26 – 31 من سورة لقمان وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح (ي) الكلمات الآتية : نَفِدَتْ – غَشِيَهُم – كَالظُّلَلِ –مُّقْتَصِدٌ–يَجْحَدُ– خَتَّارٍ – كَفُورٍ
2. بين (ي) من خلال الآيات سعة علم الله تعالى وقدرته.

الدرس 7

سورة لقمان
(الآيات: 26 – 31)

أهداف الدرس :

1. أن أتعرف مفردات ومعاني الآيات.
2. أن أستنتج من الآيات ما يدل على قدرة الله تعالى وسعة علمه.
3. أن أشكر الله تعالى على نعمه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

تمهيد:

هذه الآيات تقرير لمعاني الآيات السابقة وتأكيد لها لإفحام المجادلين المنكرين لقدرة الله سبحانه؛ فبعد بيان الله تعالى أن المشركين يعترفون بوجوده، وأنه هو الخالق الرازق، أثبت الحق سبحانه ملكه لكل ما في السموات وما في الأرض، وأقام الحجة والبرهان على سعة علمه وقدرته على الخلق والبعث وتعاقب الليل والنهار وتسيير الكواكب من شمس وقمر وغيرهما، ثم بين أن المشركين يلجؤون إلى الله وقت المحن والشدائد، ويعرضون عنه في حالة الرخاء بعد نجاتهم.

فأين تتجلى قدرة الله سبحانه وسعة علمه؟ وكيف يجحد المشركون نعم الله تعالى؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (26) مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (27) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (28) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (29) أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (30) وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (31)﴾ [لقمان: 26-31]

الفهم :

الشرح:

نَفِدَتْ : انتهت.

غَشِيَهُم : غطاهم وأحاط بهم.

كَالظُّلَلِ : الظلل جمع ظلة، وهو ما يعلو الشيء من فوق.

مُقْتَصِدٌ : متوسط في الأمر.

يَجْحَدُ : ينكر ويكفر.

خَتَّارٍ : غدار شديد الغدر.

كَفُورٍ : مبالغ في الكفر.

استخلاص مضامين الآيات:

1. ما هي مظاهر سعة علم الله عز وجل؟
2. بين (ي) دلائل قدرة الله سبحانه.
3. وضح (ي) كيف يجحد المشركون نعم الله تعالى.

التفسير:

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا : سعة علم الله تعالى وقصر علم الإنسان:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ في هذه الآية إخبار بكثرة كلمات الله، والمراد اتساع علمه، ومعنى الآية: أن شجر الأرض لو تحولت فروعها وأغصانها أقلاما ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ أي: لو كان البحر مدادا تصب فيه سبعة أبحر صبّا دائما ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ أي: لو كتبت بذلك كلمات الله لانتهت الأشجار ونضبت البحار ولم تنفد كلمات الله؛ لأن الأشجار والبحار متناهية، وكلمات الله غير متناهية. وذكرت ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ للدلالة على الكثرة، فيراد بها أبحر كثيرة غير محصورة في

سبعة، فالعرب تذكر السبعة والسبعين والسبعمائة وتريد بذلك الكثرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: إن الله عزيز في ملكه لا يغلب، حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته شيء. ونحو هذه الآية قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[الكهف: 104]

ثانيا: قدرة الله تعالى الدالة على وحدانيته:

قال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي: ما خلقكم ابتداء ولا بعثكم انتهاء يوم القيامة في اليسر والسهولة، إلا كخلق نفس واحدة وبعثها، فقدرة الله تعالى يتساوى أمامها القليل والكثير والصغير والكبير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ أي: إن الله سميع لأقوالكم، بصير بأعمالكم، وسيجازيكم عليها.

وفي هذه الآية بيان لقدرة الله على بعث الناس، وردّ على من استبعد ذلك.

وبعد أن أكد الله تعالى على كمال قدرته، ذكرهم بجانب من مظاهر هذه القدرة وإنعامه على الناس، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ الاستفهام هنا للتقرير، والمعنى: ألم تنظر أيها الإنسان نظرة اعتبار وتأمل أن الله يدخل الليل في النهار ويدخل النهار في الليل، ويزيد في أحدهما وينقص من الآخر، بإدخال ظلمة الليل على ضوء النهار وإدخال ضوء النهار على ظلمة الليل ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: ألم تر أنه ذلل الشمس والقمر وجعلهما لمصلحة الناس ومنفعتهم، يسير كل منهما في مداره بنظام ثابت محكم إلى يوم القيامة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: وأن الله خبير بكل أعمال الخلق لا تخفى عليه خافية.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعود إلى ما تقدم من إيلاج الليل في النهار وتسخير الشمس والقمر، والباء في قوله تعالى ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ للسببية، أي: ذلك الذي فعلناه مما تقدم ذكره، سببه: أن الله هو الإله الحق الذي يجب أن يعبد ﴿وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ أي: ألم تر أن ما تدعون من دونه من الأصنام والأوثان هو الباطل ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ أي: وأن الله تعالى هو العلي في ذاته وصفاته، الكبير الذي يخضع له كل شيء.

ولما ذكر سبحانه ما يدل على قدرته ووحدانيته في السماء، انتقل إلى أدلة أخرى توضح للناس نعم الله في الأرض، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ألم تشاهد السفن العظيمة وهي تسير في البحر بمشيئة الله تعالى وقدرته وبمقتضى إنعامه على خلقه وإحسانه إليهم ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ ليظهر لكم دلائل قدرته وعجائب خلقه

وصنعه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: إن في هذه النعم التي أنعم الله بها على الإنسان لدلالة على عظمة الله وقدرته لكل صبار على الشدائد والمحن شكور لربه في السراء والضراء.

ثالثا: أحوال الناس في الشدة والرخاء:

لما بين الله سبحانه قدرته على تسيير السفن في البحر، أعقب ذلك بذكره حالة الناس عندما تحيط بهم الشدائد من كل جانب وهم على ظهر تلك السفن في البحر، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ أي: وإذا غطى ركاب البحر وأحاط بهم موج مرتفع يعلو فوق الإنسان، وأصابهم الخوف والذعر وأوشكوا على الغرق؛ اتجهوا جميعا إلى الله تعالى وأخلصوا له الدعاء بأن ينجيهم مما هم فيه. فلما استجاب الله تعالى لهم ووصلوا إلى بر الأمان، غلبهم سلطان النفس والهوى وانقسموا إلى فريقين، أشار إلى الفريق الأول بقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ موف بما عاهد الله عليه في البحر، متوسط في أقواله وأفعاله بين الخوف والرجاء. وأشار إلى الفريق الثاني بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ أي: ومنهم جاحد راجع إلى كفره بعد نجاته، وما يجحد آيات الله ويكفر بها إلا شديد الغدر، مبالغ في كفره لنعم الله التي أنعم بها عليه.

وفي هذه الآيات دلائل واضحة على قدرة الله تعالى على الخلق والإنعام مما يدل على وحدانيته تعالى واستحقاقه للعبادة، أما ما يعبد الناس من الأصنام والأوثان وغيرها فهي مخلوقات لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا، وإنما اتخذها المشركون آلهة لإنكارهم آيات الله الظاهرة الدالة على عظمته وقدرته، وجحودهم نعم الله تعالى عليهم.

التقويم:

1. ما هي تجليات سعة علم الله تعالى وقصر علم الإنسان؟
2. بين (ي) من الآيات ما يدل على عظمة الله وقدرته.
3. كيف يجب أن تكون علاقة الناس بالله تعالى في الشدة والرخاء.

الاستثمار:

«رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْكِتَابِ قَالُوا: يا مُحَمَّدُ، كَيْفَ عُنِينَا بِهَذَا الْقَوْلِ ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85] وَنَحْنُ قَدْ أُوتِينَا التَّوْرَاةَ فِيهَا كَلَامُ اللهِ

تَعَالَى وَأَحْكَامُهُ، وَعِنْدَكَ أَنَّهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «التَّوْرَاةُ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ» وَنَزَلَت هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾» [المحرر الوجيز لابن عطية: 4 / 353 – 354 (بتصرف)]

ما هو الإشكال الذي حصل لأهل الكتاب؟ وكيف وضحه النبي ﷺ؟

الإعداد القبلي :

اقرأ (ئي) الآيتين 32–33 من سورة لقمان وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح (ي) الكلمات الآتية: وَاخْشَوْا – يَجْزِي – تَغُرَّنَّكُمُ – الْغَرُورُ – الْغَيْثَ
2. وضح (ي) من خلال الآيات الأمور التي لا يعلمها إلا الله.

الدرس 8

سورة لقمان

(الآيات: 32 – 33)

أهداف الدرس :

1. أن أتعرف على معاني مفردات الآيتين ومضامينها العامة.
2. أن أميز بين ما اختص الله تعالى به من الغيب وبين ما يعلمه الإنسان.
3. أن أمتثل أوامر الله تعالى وأجتنب نواهيه للنجاة يوم القيامة.

تمهيد :

بعد أن بين الله تعالى دلائل قدرته ووحدانيته، ومظاهر إنعامه على خلقه بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، أمر الناس بالتقوى بأسلوب وعظي يجمع بين الترغيب والتخويف من اليوم الآخر ومن لقاء الله تعالى، يوم يقضي فيه الله بين عباده، فلا ينفع هناك والد ولده ولا مولود والده؛ لأجل هذا اليوم نبه الله تعالى عباده ونهاهم عن الاغترار بالحياة الدنيا الزائلة وبكل ما يلهي الإنسان عن عبادة ربه وطاعة مولاه، من نفس وهوى وشيطان وغير ذلك. ثم ختم هذه السورة ببيان مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها ولم يطلع أحدا على أسرارها.

فكيف أحقق تقوى الله تعالى استعدادا لليوم الآخر؟ وما هي الأمور التي استأثر الله تعالى بعلمها؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِے وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ (32) إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِے ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِے نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِے نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ (33)﴾ [لقمان:32-33]

الفهم:

الشرح:

وَٱخۡشَوۡاْ : وخافوا.

يَجۡزِي : يغني.

تَغُرَّنَّكُمُ : تخدعنكم.

ٱلۡغَرُورُ : كل ما يلهي الإنسان عن طاعة الله تعالى.

ٱلسَّاعَةِ : يوم القيامة.

ٱلۡغَيۡثَ : المطر.

استخلاص مضامين الآيتين:

1. بما ذا أمر الله تعالى في الآية الأولى؟
2. ما هي الأمور التي استأثر الله تعالى بعلمها؟

التفسير:

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: الأمر بتقوى الله تعالى استعدادا لليوم الآخر:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ﴾ خاطب الله تعالى جميع الناس وأمرهم بتقواه، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، كما أمرهم بالخوف من يوم عظيم شديد الهول يرجعون فيه إلى ربهم، بحيث لا ينفع والد ولده ولا يدفع عنه مضرة، ولا ولد يغني أو يدفع مضرة عن والده؛ لأن الأمور يوم القيامة بيد مالك الملك الذي بيده كل شيء، أما الخلائق فيكون كل واحد منهم مشغولا بنفسه عن غيره حتى ولو كان أقرب الناس إليه ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ يؤكد الله تعالى في هذه الآية على أن مجيء هذا اليوم العظيم حق ثابت لا يقبل الشك أو التردد، لأنه وعد ممن يملك الوفاء بما وعد.

بعد هذا نهى الله الناس عن الانخداع بالدنيا فقال سبحانه: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: فلا تخدعنكم الحياة الدنيا بشهواتها وملذاتها فتركنوا إليها ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ أي: لا يخدعنكم ولا يلهينكم الشيطان وغيره مما يخدع الخلق، عن استحضار اليوم الآخر وما يحتوي عليه من ثواب وعقاب.

ثانيا: مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله:

بعد أن أمر الله تعالى الناس بتقواه ونهاهم عن الاغترار بالحياة الدنيا وبالشيطان وأعوانه، بين سبحانه أمورا استأثر بعلمها دون سواه من المخلوقات، وهي مفاتيح الغيب التي اختص الله بعلمها، وهي خمس كما جاء في الحديث الصحيح، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام: 60] خَمْسٌ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾» [صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ما جاء في مفاتح الغيب].

قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: إن الله تعالى انفرد بعلم وقت قيام الساعة دون خلقه، ولا يُظهرها عند وقت وقوعها الا الله عز وجل، قال تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف:187]

﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ أي: أن الله تعالى هو الذي يعلم نزول الغيث في وقته المحدد ومكانه المقدر وليس لأحد من خلقه علم ذلك.

وما أصبح يتوقعه الإنسان من نزول الأمطار ليس غيبا وإنما هو رصد لأشياء محسوسة تحدث في الجو بناء على حسابات علمية دقيقة.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ ويختص الله تعالى بعلم ما في الأرحام، كنوع الجنين هل هو ذكر أو أنثى؟ تام الخلق أو ناقصه؟ وغيرها من الأمور التي لا يعلمها إلا الله؛ أما ما أصبح يعرفه الأطباء عن الجنين قبل ولادته بواسطة أجهزة وتحاليل خاصة، فلا يعد من عالم الغيب، بل هو من عالم الشهادة؛ أما الله سبحانه وتعالى فإنه يعلم ما في الأرحام حتى ولو كان نطفة، بل يعلم ما ستحمل به الأرحام كما حدث مع نبي الله زكرياء حين بشره سبحانه بولده يحيى قبل أن تحمل به أمه، قال تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم:6].

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ استأثر الله تعالى بعلم ما تكسب كل نفس في غدها من خير أو شر أو مال أو ولد أو غير ذلك.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ أي: إن الله تعالى وحده الذي يعلم مكان موت كل نفس، ولا يمكن لأي مخلوق معرفة ذلك مهما ارتفعت درجته في العلم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ إن الله تعالى خبير بظواهر الأشياء وبواطنها لا يخفى عليه شيء منها.

التقويم:

1. على ما ذا يحثك التذكير باليوم الآخر والأهوال المرتبطة به؟
2. ما هي الأمور التي تحقق النجاة يوم القيامة؟

الاستثمار:

جاء في تفسير القرطبي عن مقاتل: «أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾... الآية، نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ اسْمُهُ الْوَارِثُ ابْنُ عَمْرِو بْنِ حَارِثَةَ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي حُبْلَى فَأَخْبِرْنِي مَاذَا تَلِدُ، وَبِلَادُنَا جَدْبَةٌ فَأَخْبِرْنِي مَتَى يَنْزِلُ الْغَيْثُ، وَقَدْ عَلِمْتُ مَتَى وُلِدْتُ فَأَخْبِرْنِي مَتَى أَمُوتُ، وَقَدْ عَلِمْتُ مَا عَمِلْتُ الْيَوْمَ فَأَخْبِرْنِي مَاذَا أَعْمَلُ غَدًا، وَأَخْبِرْنِي مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ». [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 14 / 83]

تحدث النص عن استئثار الله تعالى بعلم الغيب. بين حدود علم الإنسان في هذا المجال باستخدام الوسائل العلمية الحديثة.

الإعداد القبلي :

اقرأ (ئي) الآيات 1 – 3 من سورة السجدة وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. عرف (ي) سورة السجدة.
2. اشرح (ي) الكلمات الآتية: لَا رَيْبَ - افْتَرَاهُ - لِتُنذِرَ - وَلِيٍّ - شَفِيعٍ.
3. استخرج (ي) من الآيات بعض خصائص القرآن الكريم وصفاته.

الدرس 9

سورة السجدة
(الآيات: 1 - 3)

أهداف الدرس :

1. أن أتعرف ألفاظ الآية ومضامينها العامة.
2. أن أدرك قدرة الله تعالى وأدلة وحدانيته.
3. أن أستشعر قيمة القرآن الكريم وأتمثل تعاليمه في حياتي.

تمهيد:

سورة السجدة مكية إلا الآيات من 16 إلى 20 فمدنية، وهي ثلاثون آية، نزلت بعد سورة المؤمنون. سميت «سورة السجدة» لما ذكر تعالى فيها من أوصاف المؤمنين الأبرار الذين إذا سمعوا آيات القران العظيم سجدوا لله سبحانه وتعالى تضرعا وخشوعا. وتسمى سورة المضاجع. كما تسمى سورة «سجدة لقمان» تمييزًا لها عن سورة «فصلت» فإنها تسمى أيضًا سورة السجدة.

وتناولت هذه السورة أمور العقيدة من توحيد الله تعالى والبعث والحساب، وإثبات رسالة محمد ﷺ.

فكيف قررت هذه السورة أمور العقيدة ؟ وما هي أثرها في إيمان الناس وسلوكهم ؟

الآيات :

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۚ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾

[السجدة :1-3]

الفهم :

الشرح:

لَا رَيْبَ : لا شك.

ٱفْتَرَىٰهُ : اختلقه وكذَبه.

لِتُنذِرَ : لتخوف وتحذر.

وَلِيٍّ : ناصر ينصركم.

شَفِيعٍ : وسيط يشفع لكم.

استخلاص مضامين الآيات:

1. حدد (ي) ما يدل على مكانة القرآن الكريم وعلو شأنه.
2. أين تتجلى مظاهر قدرة الله تعالى وأدلة وحدانيته؟

التفسير :

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: التنويه بشأن القرآن الكريم وأنه منزل من عند الله تعالى:

قال تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ هذه حروف متقطعة لا يعرف معناها إلا الله تعالى، وهذه هي السورة السادسة التي بدئت بهذه الأحرف، وقبلها سورة البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم، ولقمان.

وقد جاءت هذه السورة بعد مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها الواردة في أواخر سورة لقمان ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: إن هذا القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ لا شك أنه من عند رب العالمين، وليس بشعر وليس بسجع كاهن، ولا هو بأساطير الأولين، لما حف حوله من الدلائل القاطعة من أنه ليس بكلام بشر؛ بسبب تحديه العرب على الإتيان بمثل أقصر سورة منه وعجزهم عن ذلك.

ونفي الريب والشك باعتبار ما هو الأمر في نفسه، وما دلت عليه الآيات القاطعة وباعتبار اعتقاد أهل الحق والايمان، لا على اعتقاد أهل الباطل الذين لا يؤمنون بأن القرآن منزل من عند الله.

ثم انتقلت الآيات تفند مزاعم المشركين الذين يدعون باطلا بأن القرآن الكريم هو من عند محمد ﷺ، فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۚ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الضمير لقريش، و«أم» المنقطعة بمعنى «بل وهمزة الاستفهام» والتقدير: «بل أيقولون»، وهي تدل على خروج من حديث إلى حديث آخر، ذلك أن الله تعالى أثبت أن القرآن الكريم منزل من عنده، وأن ذلك مما لا يشك فيه منصف ولا يرتاب، ثم أضرب عن ذلك إلى ما يقولون فيه على خلاف ذلك حيث قال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي: افتعله واختلقه. ثم فنّد تكذيبهم له، وأكد أنه من لدن رب العالمين وليس الأمر كما يدعون ويزعمون فقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: بل هو الحق الثابت المنزل من ربك ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ لتخوف مشركي العرب الذين لم يأتهم من ينذرهم يا محمد، يعني مرحلة الفترة بعد عيسى عليه السلام، وقد جاء الرسل قبل ذلك كإبراهيم وغيره، ولما طالت الفترة على هؤلاء أرسل الله رسولا ينذرهم ليقيم الحجة عليهم ويخوفهم من بأس الله وعذابه الشديد أن يحل بهم إن هم استمروا في شركهم وعبادة غير الله من الأصنام والأوثان ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ رجاء أن يؤمنوا ويوحدوا الله تعالى ويعبدوه دون غيره فيهتدوا إلى الحق بعد ضلالهم.

ثانيا: قدرة الله تعالى وأدلة وحدانيته:

بعد بيان الله تعالى أن القرآن الكريم تنزيل من عنده وأنه لا ريب فيه ولا شك، شرع يعرض بعض دلائل قدرته الدالة على وحدانيته، ويعرف الناس كمال قدرته ليسمعوا القرآن ويتأملوه، فقال سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي: الله الذي خلق وأبدع وأوجد السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام من أيام الله تعالى، فهي ليست من أيام الدنيا لأن خلق السموات والأرض حدث قبل خلق الدنيا والليل والنهار، ولأن اليوم في اللغة مطلق الوقت، أي: في ستة أوقات لا يعلم مقدارها إلا الله تعالى، والله سبحانه قادر على أن يخلق السموات والأرض وغيرهما في لمح البصر، لكنه خلقهما في أيام ليعلم خلقه التأني والتثبت في الأمور ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ «حمله قوم على ظاهره منهم ابن أبي زيد وغيره، وتأوّله قوم بمعنى: قَصَدَ، كقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة : 28] ولو كان كذلك لقال: ثم استوى إلى العرش. وتأوّلها الأشعرية أنّ معنى استوى: استولى بالملك والقدرة، والقول الحق: الإيمان به من غير تكييف، فإنّ

السلامة في التسليم. ولله در مالك بن أنس في قوله للذي سأله عن ذلك: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة، والسؤال عن هذا بدعة. وقد روي مثل قول مالك عن أبي حنيفة، وجعفر الصادق، والحسن البصري، ولم يتكلم الصحابة ولا التابعون في معنى الاستواء، بل أمسكوا عنه، ولذلك قال مالك: السؤال عنه بدعة» [التسهيل لابن جزي 1 / 290]

ثم بين الله تعالى أنه لا ناصر لهم ولا شفيع، فقال سبحانه: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: ليس لكم من غير الله ناصر يمنعكم من عذابه، ولا وسيط يشفع لكم عنده، بل هو الذي يتولى مصالحكم ويدبر أموركم. والشفاعة للمؤمنين لا تكون إلا بإذن الله، كقوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: 3] ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أفلا تتعظون وتتدبرون أيها الناس فتوحدوا الله تعالى وتخلصوا له العبادة ؟!

وتهدف هذه الآيات إلى تقرير إعجاز القرآن الكريم المتمثل في الحروف المتقطعة التي افتتحت بها السورة، وإثبات صدقه وأنه من عند الله تعالى، ورفض مزاعم المشركين من أن النبي ﷺ افتراه من عنده، كما بينت الآيات مظاهر قدرة الله تعالى وعظمته الدالة على وحدانيته سبحانه، منبهة الناس إلى ضرورة الإيمان به وإخلاص العبودية له، فهو وحده الذي يستطيع نصرتهم وإنقاذهم.

التقويم :

1. كيف ترد على زعم المشركين بأن القرآن الكريم افتراه رسول الله ﷺ.
2. بين (ي) من خلال الآيات قدرة الله تعالى على الخلق وأدلة وحدانيته.
3. كيف تستشعر عظمة القرآن الكريم وتجعله دستور حياتك؟

الاستثمار :

«وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ﴿الٓمٓ تَنزِيلُ﴾ السَّجْدَة، وَ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان:1]...الحديث.

وَخَرَّجَ الدَّارِمِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ: ﴿الٓمٓ تَنزِيلُ﴾ السَّجْدَة، وَ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: 1]. قَالَ الدَّارِمِيُّ: وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ قَالَ: اقْرَءُوا الْمُنْجِيَةَ، وَهِيَ ﴿الٓمٓ تَنزِيلُ﴾ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَقْرَؤُهَا، مَا يَقْرَأُ شَيْئًا غَيْرَهَا، وَكَانَ كَثِيرَ الْخَطَايَا فَنَشَرَتْ جَنَاحَهَا عَلَيْهِ وَقَالَتْ: رَبِّ اغْفِرْ لَهُ فَإِنَّهُ

كَانَ يُكْثِرُ مِنْ قِرَاءَتِي، فَشَفَّعَهَا الرَّبُّ فِيهِ وَقَالَ (اكْتُبُوا لَهُ بِكُلِّ خَطِيئَةٍ حَسَنَةً وَارْفَعُوا لَهُ دَرَجَةً) [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : 14 / 84].

بين(ي) فضائل سورة السجدة من خلال النص.

الإعداد القبلي :

اقرأ (ئي) الآيات 4 – 8 من سورة السجدة وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح (ي) الكلمات الآتية: يُدَبِّرُ – يَعْرُجُ – سُلَٰلَةٍ – مَّآءٍ مَّهِينٍ – وَالْأَفْـِٔدَةَ .
2. استخرج (ي) من الآيات مظاهر تدبير الله تعالى للكون.

الدرس 10

سورة السجدة
(الآيات: 4 - 8)

أهداف الدرس :

1. أن أتعرف مفردات الآيات ومعانيها العامة.
2. أن أستخلص مظاهر إتقان الله تعالى لخلقه وحسن تدبير أمورهم.
3. أن أشكر الله تعالى على نعمة الخلق في أحسن تقويم.

تمهيد:

ما زال سياق هذه الآيات يواصل تقرير أمور العقيدة من توحيد الله تعالى وإثبات البعث والجزاء بالتأكيد على مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته في تدبير أمور عباده، حيث يصدر أمر تدبيره من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه ليجازي عباده على أعمالهم يوم القيامة؛ لأنه هو الذي خلقهم وأحسن صنعهم، وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة وسائر الجوارح، مما يقتضي شكرهم لخالقهم وحده على فضله.

فأين تتجلى قدرة الله في تدبير أمور عباده؟ وما هي مظاهر إتقانه سبحانه في خلق الإنسان؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (4) ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (6) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (7) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة : 4-8]

الفهم :

الشرح:

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ : ينفذه بحكمة وإتقان.

يَعْرُجُ : يصعد.

نَسْلَهُ : ذريته.

سُلَٰلَةٍ : سلالة الإنسان وهي النطفة.

مَّآءٍ مَّهِينٍ : ماء مبتذل ضعيف ذليل، وهو كناية عن النطفة التي يتكون منها الإنسان.

الْأَفْـِٔدَةَ : القلوب.

استخلاص مضامين الآيات:

1. حدد (ي) قدرة الله تعالى في تدبير الكون.
2. أين يتمثل إبداع الله تعالى في خلقه؟

التفسير :

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: تدبير الله تعالى لأمور عباده في الكون:

قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: يدبر أمر الكون العلوي والسفلي تدبيرا شاملا وينفذ قضاءه بحكمة وإتقان، وحقيقة التدبير: النظر في استقامة الفعل ابتداء ونهاية، وإذا وصف به الله تعالى دل على تمام الإتقان، و﴿الْأَمْرَ﴾ الشأن للأشياء ونظامها وما به تقوّمها. والتعريف فيه للجنس وهو مفيد لاستغراق الأمور كلها لا يخرج عن تصرفه شيء منها ﴿مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: أن تدبير الأمور يصدر من السماء في اتجاه الأرض باعتبار أن أسباب هذا التدبير سماوية من الملائكة وغيرهم.

وبعد بيان تدبير الله لأمور خلقه في السماء وإنزالها إلى الأرض، أخبر سبحانه أن نتائج الأمور تصعد إليه ليفصل فيها، قال سبحانه: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ أي: ينفذ الله ما قضاه من السماء إلى الأرض،

ثم ترفع الأمور الحاصلة في الدنيا صغيرها وكبيرها إلى الله تعالى يوم القيامة ليفصل فيها ويحكم في شأنها ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ أي: يدبر الله تعالى أمور الخلائق في يوم مقداره ألف سنة من أيام الدنيا.

وقد فُرضت عدة احتمالات في تقدير الألف سنة المذكورة، فمن المفسرين من قدرها بقطع المسافات فقال بأن مقدار هذا اليوم لو سير فيه السير المعروف من البشر ألف سنة. ومنهم من قدرها بكثرة التصرفات، ومعنى ذلك أنه يحصل فيه من تصرفات الله ما لو كان من عمل الإنسان لكان حصول مثله في ألف سنة.

والمقصود هو التنبيه على عظم قدرة الله تعالى وسعة ملكه وحكمة تدبيره لأمور خلقه ﴿ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ذلك إشارة إلى الله تعالى المدبر لأمور خلقه يعلم الغيب ما غاب عن المخلوقين وما شاهدوه ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الغالب الذي يخضع له كل شيء، الرحيم بعباده في تدبيره لشئونهم.

ثانيا: إبداع الله تعالى في خلق الإنسان:

قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ أي: أن الله سبحانه وتعالى الذي يدبر أمور الكون، هو الذي أتقن خلق جميع الأشياء وأحكمها ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ أي: وجعل أصل خلق الإنسان بخلق أبي البشر آدم من طين ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ أي: جعل أبناءه وذريته يتناسلون من خلاصة ماء حقير مبتذل لا يعبأ به، وهو المني الذي يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة، قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7)﴾ [الطارق: 5-7] والسلالة مشتقة من سلّ يَسُل، فكأن الماء يسل من الإنسان، أي: ينفصل منه، والمهين الضعيف ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ أي: ثم قوّمه وعدل خلقته في رحم أمه وأوجد فيه الحياة، فإذا هو في أحسن خلقة وأفضل تقويم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4] وكما قال أيضا: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)﴾ [المؤمنون:14] وهذه التسوية كانت لآدم عليه السلام الذي خلقه الله من طين. وأضيفت الروح إلى الله إضافة مِلك إلى مَالك، وقد يراد بها الاختصاص، لأن الروح لا يعلم كنهها إلا الله.

وبعد أن بين الله تعالى إتقانه في الخلق وأصل خلق الإنسان وإبداعه في تكوينه، امتن سبحانه على عباده بتعديده للنعم التي خصهم بها، فقال عز وجل: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ أي: وخلق لكم هذه الحواس: السمع لتسمعوا به الأصوات، والبصر لتبصروا به الأشياء، والعقل لتدركوا

به الحق والهدى. وورد السمع بالإفراد لأنه من المصادر التي لا تجمع، أما الأبصار والأفئدة فقد وردت بصيغة الجمع باعتبار تعدد الناس ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: قليلا ما تشكرون الله تعالى على نعمه التي أنعم بها عليكم، مثل نعمة السمع والبصر والفؤاد.

وفي هذه الآيات تقرير لجلال الله وعظمته وحكمته في تدبيره لأمور الخلائق، وبيان لصفات الله الجليلة من العلم والعزة والرحمة، كما ركزت الآيات على إتقان الله تعالى لخلقه وإبداعه في خلق الإنسان الذي أنعم عليه بنعم كثيرة كالسمع والبصر والفؤاد، ونبهه على ضرورة شكره للنعم التي اختصه بها اعترافا بفضل الله تعالى عليه.

التقويم :

1. بين(ي) قدرة الله تعالى في تدبيره لأمور عباده.
2. استنتج (ي) من الآيات مظاهر إتقان الله تعالى في خلق الإنسان.
3. كيف تشكر الله تعالى على نعمة الخلقة السوية؟

الاستثمار :

«وَإِذَا كَانَ الْإِنْسانُ لَمْ يَشْهَدْ كَيْفِيَّةَ خَلْقِهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَجْعَلُ مِنَ الْمُشَاهَدِ لَنَا دَلِيلًا عَلَى مَا غَابَ عَنَّا، فَإِنْ كُنَّا لَمْ نَشْهَدِ الْخَلْقَ فَقَدْ شَاهَدْنَا الْمَوْتَ، وَالْمَوْتُ نَقْضٌ لِلْحَيَاةِ وَلِلْخَلْقِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ نَقْضَ الشَّيْءِ يَأْتِي عَلَى عَكْسِ بِنَائِهِ، فَإِذَا أَرَدْنَا مَثَلًا هَدْمَ عِمَارَةٍ مِنْ عِدَّةِ أَدْوارٍ فَإِنَّ آخِرَ الْأَدْوارِ بِنَاءً هُوَ أَوَّلُ الْأَدْوارِ هَدْمًا. كَذَلِكَ الْحَالُ فِي الْمَوْتِ، أَوَّلُ شَيْءٍ فِيهِ خُرُوجُ الرُّوحِ، وَهِيَ آخِرُ شَيْءٍ فِي الْخَلْقِ، فَإِذَا خَرَجَتِ الرُّوحُ تَصَلَّبَ الْجَسَدُ (...)، وَهَذِهِ الْمَرْحَلَةُ أَشْبَهُ بِمَرْحَلَةِ الصَّلْصَالِيَّةِ، ثُمَّ يُنْتِنُ وَتَتَغَيَّرُ رَائِحَتُهُ، كَمَا كَانَ فِي مَرْحَلَةِ الْحَمَأِ الْمَسْنُونِ، ثُمَّ يَتَحَلَّلُ هَذَا الْجَسَدُ وَيَتَبَخَّرُ مَا فِيهِ مِنْ مَائِيَّةٍ، وَتَبْقَى بَعْضُ الْعَنَاصِرِ الَّتِي تَتَحَوَّلُ إِلَى تُرَابٍ لِيَعُودُ إِلَى أَصْلِهِ الْأَوَّلِ.

إِذَنْ: خُذْ مِنْ رُؤْيَتِكَ لِلْمَوْتِ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ، فِيمَا أَخْبَرَكَ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْخَلْقِ الَّذِي لَمْ تَشْهَدْهُ» [تفسير الشعراوي، بتصرف : 19 / 11807]

وضح(ي) كيف استدل النص على خلق الإنسان.

الإعداد القبلي :

اقرأ (ئي) الآيات 9 – 14 من سورة السجدة وأجب/ أجيبي عن الآتي:

2. اشرح (ي) الكلمات الآتية: ضَلَلْنَا - نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ - عَذَابَ الْخُلْدِ.

3. وضح (ي) سبب إنكار المشركين للبعث.

الدرس
11

سورة السجدة
(الآيات: 9 – 14)

أهداف الدرس :

1. أن أدرك معاني الآيات ومضامينها العامة.
2. أن أستنتج من الآيات الأدلة القاطعة على وقوع البعث والجزاء.
3. أن أقوي إيماني بالبعث والنشور وأستحضر اليوم الآخر في حياتي.

تمهيد :

ما زالت الآيات الكريمة تتابع تقرير عقيدة البعث والجزاء، وتفند أقوال المنكرين لها، وتصف حالهم يوم القيامة حين يقفون بين يدي الله تعالى أذلاء خائفين، ويعترفون بأن الله سبحانه وما أخبر به عن طريق رسله حق وصدق، حينئذ يتمنون الرجوع إلى الدنيا للقيام بالأعمال الصالحة، ولا ينفعهم ذلك لأن يوم القيامة هو يوم الجزاء، ولا مجال فيه للعودة إلى الدنيا.

فكيف فند الله مزاعم المشركين بإنكارهم للبعث؟ وكيف وصف حالهم يوم القيامة؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَ۬ءِذَا ضَلَلْنَا فِي اِ۬لْأَرْضِ إِنَّا لَفِي خَلْقٖ جَدِيدِۢ (9) بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ (10) ۞ قُلْ يَتَوَفَّيٰكُم مَّلَكُ اُ۬لْمَوْتِ اِ۬لذِے وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَيٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11) وَلَوْ تَرَيٰٓ إِذِ اِ۬لْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحاً اِنَّا مُوقِنُونَ (12) وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدِيٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ اَ۬لْقَوْلُ مِنِّے لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ اَ۬لْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (13) فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ اَ۬لْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (14)﴾ [السجدة: 9–14]

الفهم :

الشرح:

ضَلَلْنَا : تلفنا وصرنا ترابا.

نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ : مطأطئوها حياء وذلا وخزيا.

عَذَابَ ٱلْخُلْدِ : العذاب الدائم.

استخلاص مضامين الآيات:

1. كيف أنكر المشركون البعث؟

2. ما هو الجزاء الذي أعده الله لمنكري البعث؟

التفسير :

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: إنكار المشركين للبعث:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: وقال مشركو مكة المنكرون للبعث: أئذا متنا وفنيت أجسامنا واختلطت بالتراب ﴿إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: أيخلقنا الله من جديد مرة أخرى ويجدد خلقنا، ونعود إلى الحياة مرة ثانية؟ ومعنى هذا الكلام المحكي عن الكفار: استبعاد البعث، بالنسبة إلى قدرتهم العاجزة، لا بالنسبة إلى قدرة الله الذي بدأهم وخلقهم من العدم، والذي إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون. والاستفهام في ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا﴾ للتعجب والاستحالة، لأن المنكرين تعجبوا واستبعدوا البعث بعد فناء الأجساد واختلاطها بالتراب، مغالطة للمؤمنين واستهزاء منهم بآيات الله تعالى ونشرا لكفرهم.

ولما أنكر المشركون البعث والنشور، أجابهم الله تعالى بقوله:﴿ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ أضرب الله تعالى عن كلامهم باستعماله «بل» التي تفيد الإضراب عن كلامهم السابق وتعيين حقيقة أخرى غير مصرح بها، والمعنى: ليس إنكارهم للبعث استبعادا واستهزاء، لأن إمكانية وقوعه واضحة عندهم، ذلك أن الذي خلق الخلق أول مرة قادر على إعادة خلقه من جديد بدون عناء ولا مشقة،

لأن الإعادة أيسر من البدء، فالذي يعيد إنما يعيد من موجود، أما الذي بدأ فمن معدوم. كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [الروم: 26] وهكذا فإن البعث أهون على الله من بداية الخلق بالنظر إلى مقاييس الإنسان، فلا يقال في حق الله تعالى: هيّن وأهون، أو صعب وأصعب، ولكنه يحدثنا بما نفهم وبما تدركه عقولنا، فلله سبحانه القدرة المطلقة في خلقه.

لكن المشركين بسبب عنادهم وكبرهم وتمسكهم بالمعتقدات الباطلة لآبائهم وأجدادهم، أنكروا البعث ولم يقتنعوا بالحجج الدامغة التي واجههم بها القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٧ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٨﴾ [يس: 77– 78]، ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ٦٦ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧﴾ [مريم: 66–67].

فالعلة الحقيقية إذن، ليس استحالة البعث والنشور، وإنما هي كفر المشركين بالله وجحودهم بلقاء ربهم خوفا من عقابه، وخشية مجازاتهم على معاصيهم.

وقد رد الله على المشركين وفند أقوالهم بيانا للحق وإبطالا لما زعموا من بهتان، فقال سبحانه: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ أي: قل لهم ردا على مزاعمهم الواهية إن ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم، سيقوم بما كلف به من قبض أرواحكم عند حضور أجلكم، ثم تبعثون وتردون إلى ربكم ليعاقبكم على إنكاركم للقائه وللبعث الذي أخبركم به.

وفي هذا إثبات للبعث مع تهديد المنكرين وتخويفهم من عذاب الله، وإشارة إلى أن الله تعالى قادر على الإماتة كما أنه قادر على الإحياء.

وأصل التوفي: أخذ الشيء وافيا تاما، ثم غلب استعماله في قبض الروح، يقال: توفاه الله إذا قبض روحه واستوفى أجله.

ثانيا: حال منكري البعث يوم القيامة وجزاؤهم:

بعد أن أثبت الله تعالى البعث والرجوع إليه يوم القيامة، بين حال المجرمين المنكرين للبعث حينما يعاينون العذاب، ويقفون أمام الله تعالى أذلاء خائفين نادمين على أعمالهم في الدنيا، قال سبحانه مصورا هذا المشهد وما يشتمل عليه من الذل والهوان: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أي: ولو ترى أيها الرسول حال المجرمين يوم القيامة وهم مطرقو رؤوسهم بين يدي ربهم ذلا وغما وندما على ما سلف منهم من إنكار البعث والنشور وغيرها من المعاصي، لرأيت أمرا مهولا وعجيبا لا يقدر هولُه لشدته وفظاعته ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا﴾ يقولون ربنا أبصرنا

الحشر وأهواله وسمعنا ما كنا ننكر من أمر الرسل وصدقنا به ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ أي: فارجعنا إلى الدنيا نعمل الأعمال الصالحة ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي: إنا مصدّقون تصديقاً جازماً، وموقنون أن وعدك حق، ولقاءك حق. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام:28].

ولما ندم المنكرون واعترفوا بالبعث بعد فوات الأوان، رد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ أي: أن الله تعالى لو أراد أن يهدي جميع الخلائق لفعل، فإنه قادر على ذلك بأن يجعل الإيمان في قلوبهم ويدفع عنهم الشيطان والشهوات، ولكن ذلك ينافي حكمة الله تعالى إذ جعل الإيمان بطريق الاختيار لا بطريق الإكراه والإجبار ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: ولكن ثبت القول مني وحق وعيدي بملء جهنم بالعصاة من الجن والناس أجمعين.

ولما بين الله تعالى للمشركين المنكرين للبعث والنشور أن لا رجوع إلى الدنيا، لأنه لا فائدة من رجوعهم إذ لو مكنهم من ذلك لعادوا لما نهو عنه كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿29﴾﴾ [الأنعام: 29]، وأخبرهم بهذا، عاتبهم على ما ارتكبوه من المعاصي والذنوب في الدنيا فقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ أي: تمتعوا في العذاب بسبب تكذيبكم لهذا اليوم واستبعادكم وقوعه، وبسبب نسيانكم للقاء ربكم، إنا تركناكم وتخلينا عنكم، وذوقوا عذابا تخلدون فيها بغير انقطاع جزاء لكم على كفركم وتكذيبكم بربكم وبما أخبركم به من البعث والجزاء.

وهكذا قررت هذه الآيات عقيدة التوحيد في شقها المتعلق بإثبات البعث والنشور وبينت حال منكري البعث وما أعده الله لهم من عذاب دائم جزاء لهم على كفرهم واستهزائهم بآيات الله تعالى المنزلة على رسوله ﷺ.

التقويم :

1. استنتج(ي) من الآيات أدلة وقوع البعث والجزاء.
2. بين(ي) حال منكري البعث يوم القيامة.
3. كيف تقوي إيمانك من خلال دراستك لموضوع البعث والجزاء؟

الاستثمار :

ذكر الطاهر بن عاشور رحمه الله في تفسير قوله تعالى﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾أي: «لَوْ شِئْنَا لجَبَلْنَا كُلَّ نَفْسٍ عَلَى الِانْسِيَاقِ إِلَى الْهُدَى بِدُونِ اخْتِيَارٍ كَمَا جُبِلَتِ الْعَجْمَاوَاتُ عَلَى مَا أُلْهِمَتْ إِلَيْهِ مِنْ نِظَامِ حَيَاةِ أَنْوَاعِهَا... وَلَكِنَّ اللهَّ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَكِلَ إِلَى نَوْعِ الْإِنْسَانِ تَعْمِيرَ هَذَا الْعَالَمِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ عُنْوَانًا لِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَأَنْ يُفَضِّلَهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْوَاعِ وَالْأَجْنَاسِ الْعَامِرَةِ لِهَذَا الْعَالَمِ اقْتَضَى لِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْحِكْمَةِ أَنْ يَخْلُقَ فِي الْإِنْسَانِ عَقْلًا يُدْرِكُ بِهِ النَّفْعَ وَالضُّرَّ، وَالْكَمَالَ وَالنَّقْصَ، وَالصَّلَاحَ وَالْفَسَادَ، وَالتَّعْمِيرَ وَالتَّخْرِيبَ ... وَخَلَقَ فِيهِ مِنْ أَسْبَابِ الْعَمَلِ وَآلَاتِهِ مِنَ الْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ إِذَا كَانَتْ سَلِيمَةً فَكَانَ بِذَلِكَ مُسْتَطِيعًا لِأَنْ يَعْمَلَ وَأَنْ لَا يَعْمَلَ عَلَى وِفَاقِ مَيْلِهِ وَاخْتِيَارِهِ وَكَسْبِهِ» [التحرير والتنوير، لابن عاشور: 21 / 222 (بتصرف)].

بين (ي) من خلال النص عدل الله تعالى وحكمته في خلق الإنسان على ما هو عليه.

الإعداد القبلي:

اقرأ (ئي) الآيات 15 – 22 من سورة السجدة وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح (ي) العبارات الآتية: خَرُّواْ سُجَّدًا – تَتَجَافَىٰ – قُرَّةِ أَعْيُنٍ – ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ – ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ.
2. استخرج(ي) من الآيات صفات المؤمنين وما ذا أعد الله لهم في جنات النعيم.

الدرس 12

سورة السجدة
(الآيات: 15 - 22)

أهداف الدرس :

1. أن أتعرف مفردات الآيات ومضامينها العامة.
2. أن أقارن بين جزاء المؤمنين وجزاء الفاسقين.
3. أن أتصف بصفات المؤمنين لكي أسعد بجزائهم يوم القيامة.

تمهيد :

بعد أن ذكر الله تعالى علامة المشركين المكذبين بآيات الله تعالى وبلقائه يوم القيامة، من طأطأة رؤوسهم ذلا وغما بما فعلوا في الدنيا، وذكر ما يلاقونه من العذاب الشديد؛ بين سبحانه علامة أهل الإيمان المتمثلة في تلذذهم بعبادة ربهم وتسبيحه وحمده، ومداومتهم على الصلاة في جوف الليل خوفا من ربهم وطمعا في رحمته، وأردف ذلك ببيان ما يلاقونه من نعيم مقيم وقرة عين لا تنقطع. ثم قارن بين حال المؤمنين وحال الفاسقين يوم القيامة وبين أنهما لا يستويان.

فما هي صفات المؤمنين وجزاؤهم؟ وما هو حال الفاسقين وعاقبتهم؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (15) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (16) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17) أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ (18) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (19) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (20) وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: 15-22]

الفهم :

الشرح:

إِذَا ذُكِّرُواْ : وعظوا بها.

خَرُّواْ سُجَّدًا : سقطوا على الأرض ساجدين.

تَتَجَافَىٰ : ترتفع وتبتعد.

قُرَّةِ أَعْيُنٍ : شيء نفيس تسر به العين وتفرح.

فَاسِقًا : الفسق: هو الخروج عن الطاعة وأحكام الشرع مطلقا.

الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ : مصائب الدنيا.

الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ : عذاب النار.

استخلاص مضامين الآيات:

1. استخرج(ي) صفات المؤمنين وجزاءهم من الآيات.
2. حدد(ي) عاقبة الفاسقين يوم القيامة.

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: صفات المؤمنين وجزاؤهم يوم القيامة:

لما ذكر الله سبحانه حال الأشقياء وعاقبتهم يوم القيامة، أتبع ذلك بذكر حال السعداء وما أعدَّه لهم من نعيم في جنات الخلد، ليظل الإنسان متوسطا بين الخوف من الله تعالى وبين الطمع في رحمته، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: إنما يصدق بحججنا وآيات كتابنا المؤمنون المتقون الذين إذا وعظوا بها استمعوا لها خاشعين، وسقطوا على وجوههم ساجدين، تعظيما لآيات الله سبحانه وتذللا واستكانة لعظمته ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ﴾ أي: ونزهوا ربهم سبحانه في سجودهم عما لا يليق به؛ يفعلون

ذلك وهم لا يستكبرون عن طاعته كما يفعل أهل الفسق والفجور حين يسمعونها، فإنهم يولون مستكبرين، كأن لم يسمعوها. ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (16)﴾ أي: ترتفع جنوبهم وتتنحى أطرافهم عن المضاجع ومواضع النوم، ويتركونها بالليل من كثرة صلاتهم النوافل، وانقطاعهم للعبادة، كما قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18)﴾ [الذاريات: 17 - 18] ومن صلى العشاء والصبح في جماعة فقد أخذ بحظه من هذا ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ يدعون ربهم خوفاً من عذابه وطمعاً في رحمته وثوابه ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ومما أعطيناهم من الرزق ينفقون في وجوه البر والحسنات ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ أي: أنه لا يعلم أحد مقدار ما أخفي لهم من النعيم واللذات التي لم يطلع على نظيرها أحد ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ثوابا لما قدموه في الدنيا من الأعمال الصالحة، فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾» [صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة]

ثانيا: مقارنة بين جزاء المؤمنين وجزاء الفاسقين يوم القيامة:

لما ذكر تعالى حال المجرمين يوم القيامة، وحال المؤمنين المتقين، وما أعدَّه لهم في جنات النعيم، عقد مقارنة بين الفريقين، وذكر أنهما لا يستويان، لأن عدالة الله تقتضي التمييز بين المؤمن الصالح، والفاسق الفاجر.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ أي: أفمن كان في الحياة الدنيا مؤمناً متقياً لله متبعا لأوامره ومجتنبا لنواهيه، كمن كان فاسقاً خارجاً عن طاعة الله؟ أبدا، لا يستويان.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (20)﴾ [الجاثية:20].

وورد في سبب نزول هذه الآية أنه كان بين «علي بن أبي طالب» و«الوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط» تنازع وخصومة، فقال الوليد بن عُقبة لعلي: اسكت فإنك صبيٌّ، وأنا والله أبسط منك لساناً، وأشجع منك جناناً، وأملأ منك حشواً في الكتيبة، فقال له علي: اسكتْ فإنك فاسق فنزلت ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾.

بعد تقرير الله تعالى عدم استواء المؤمنين والفاسقين، فصل جزاء الفريقين، وبدأ بجزاء المؤمنين، فقال سبحانه: ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي:

أما المتقون الذين جمعوا بين الاعتقاد بالقلب والعمل الصالح، فقد أعد الله لهم سبحانه جنات يسكنون فيها ضيافة عند الله تعالى جزاء لهم على ما قدموه في الدنيا من الاعتقاد الصحيح والعمل الصالح.

ثم بين الله تعالى جزاء الفاسقين، فقال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ أي: وأما الذي خرجوا عن طاعة الله بتكذيب آياته وإنكار البعث والنشور فمسكنهم النار وبئس القرار ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ أي: إذا دفعهم لهب النار إلى أعلاها وأرادوا الخروج منها وظنوا أنهم نجوا، أعيدوا فيها ودفعوا إلى قعرها ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ يقال لهم على سبيل التوبيخ: ذوقوا عذاب النار الذي كنتم تكذبون به في الدنيا.

بعد ذلك بين سبحانه أنه سيعجل لهم عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة فقال: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: ولنذيقنهم من مصائب الدنيا وأسقامها، من القتل والأسر والبلايا والمحن مما يبتلى به العبيد، حتى يتوبوا ويرجعوا إلى الصواب قبل وقوع العذاب الأكبر وهو عذاب الآخرة في جهنم.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ أي: لا أحد أظلم لنفسه ممن وعظ وذكر بآيات الله وحججه، ثم أعرض عنها وتناساها ولم يتعظ بها ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ أي: إننا سننتقم من المجرمين الذين أعرضوا عن آيات الله تعالى واجترحوا السيئات والآثام فليستحضروا هذا ولينتظروه فإنه واقع بهم لا محالة إن لم يرجعوا عن إعراضهم وجحودهم.

وقد أكدت هذه الآيات على إقرار البعث والجزاء، ونصت على جزاء المؤمنين المتقين الذين يعبدون الله حق عبادته، وفندت مزاعم المشركين المكذبين، ووعدتهم بالعذاب الأليم جزاء لهم على تكذيبهم وإنكار آيات ربهم.

التقويم :

1. بين(ي) صفات المؤمنين من خلال الآيات.
2. قارن(ي) بين جزاء المؤمنين وجزاء الفاسقين.
3. كيف تكون من المؤمنين لتحظى بجزائهم يوم القيامة؟

الاستثمار :

عن معاذ بن جبل قال: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ» قَالَ: ثُمَّ تَلَا ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾... حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾

[السجدة: 16 – 17]. [سنن الترمذي، كتاب أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة]

بين فضل الصلاة في جوف الليل.

الإعداد القبلي :

اقرأ(ئي) الآيات 23 – 25 من سورة السجدة وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح(ي) الكلمات الآتية: ٱلْكِتَٰبَ – مِرْيَةٍ – هُدًى – يَفْصِلُ .
2. بين(ي) سبب ذكر موسى عليه السلام في الآيات دون غيره من الأنبياء والرسل؟

الدرس 13

سورة السجدة
(الآيات: 23 - 25)

أهداف الدرس :

1. أن أتعرف مفردات الآيات ومضامينها العامة.
2. أن أستخلص من الآيات ما يؤكد إثبات الرسالة والبعث.
3. أن أستشعر قيمة رسالة الأنبياء والرسل في هداية وإرشاد الخلق.

تمهيد :

بعد تقرير الآيات في أول السورة لتوحيد الله تعالى والبعث والرسالة، أكدت في آخرها على إثبات هذه الأصول. وتناولت الآيات موضوع الدرس التأكيد على إثبات الرسالة من خلال إبراز التكامل بين رسالة موسى عليه السلام وبين رسالة النبي ﷺ؛ وذلك تثبيتا لقلبه وللمؤمنين معه، في الوقت الذي اشتد عليهم الأمر وبدأ المشركون يشددون الخناق على المسلمين. كما تناولت الآيات حكم الله وفصله بين عباده يوم القيامة في الأمور التي اختلفوا فيها في الدنيا، بحيث يجازي كلا بما يستحق.

فما هي الحكمة من إثبات رسالة موسى عليه السلام؟ وكيف يفصل الله تعالى فيما اختلف فيه عباده؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿23﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿24﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿25﴾﴾ [السجدة: 23-25].

الفهم :

الشرح:

ٱلۡكِتَٰبَ : التوراة.

مِرۡيَةٖ : شك وتردد.

أَئِمَّةٗ : قادة هداة.

هُدٗى : مرشدا وهاديا.

يَفۡصِلُ : يحكم ويقضي.

استخلاص مضامين الآيات:

1. بماذا أثبتت الآيات رسالة موسى عليه السلام؟
2. ما هي الأمور التي يفصل فيها الله تعالى بين عباده يوم القيامة؟

التفسير :

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: إثبات رسالة موسى عليه السلام تطمينا للنبي ﷺ:

لما ذكر الله سبحانه إنكار المشركين لآيات الله وإعراضهم عنها في الآيات السابقة، انتقل إلى تسلية رسوله ﷺ مخبرا إياه بأن ما تعرض له من قومه من أصناف وأنواع الأذى، ليس خاصا به، بل هو شأن الأنبياء والمرسلين، ومن بينهم موسى عليه السلام الذي لقي من فرعون ما لقي.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أي: ولقد أعطينا موسى بن عمران التوراة، فلماذا ينكر عليك المشركون أن يؤتيك كتابا آخر؟ والمراد بقوله ﴿ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾: أرسلنا موسى، فذكر إيتائه الكتاب كناية عن إرساله ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ﴾ أي: فلا تكن في شك من لقاء موسى عليه السلام ليلة الإسراء أو يوم القيامة. وقد ثبت أن النبي ﷺ التقى بموسى وغيره من الأنبياء ليلة الإسراء والمعراج، ففي حديث ابن عباس أن رسول الله

ﷺ قال: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى رَجُلًا آدَمَ طُوَالًا جَعْدًا، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ»
[صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء].

وقيل: المعنى لا تشك في لقاء موسى، والكتاب الذي أنزل عليه، والكتاب على هذا: التوراة. وقيل: الكتاب هنا جنس، والمعنى: ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تشك أنت في لقائك الكتاب الذي أنزل عليك، وعبر باللقاء عن إنزال الكتاب كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝6﴾ [النمل: 6].

والمقصود تقرير رسالته ﷺ، وتحقيق أن ما معه من الكتاب وحي من الله تعالى أنزل عليه، كما أنزلت التوراة على نبي الله موسى عليه السلام.

وذكر موسى في هذه الآيات من بين سائر الرسل لقرب العهد به، ولوجود من كان يؤمن به من اليهود والنصارى بين المسلمين، ليثبت لهم أن القرآن وحي من الله تعالى مثل التوراة، ولم يذكر عيسى عليه السلام مع قربه لعدم اعتراف اليهود بنبوته.

وقد يكون ذكره، لأن الآية جاءت تسلية لرسوله ﷺ، فإنه لما أتى بكل آية وذكّرهم بها، وأعرض قومه عنها حزن حزنا شديدا، فقيل له: تذكّر حال موسى ولا تحزن، فإنه قد لقي مثل ما لقيت، وأوذي كما أوذيت، فإنّ من لم يؤمن به آذاه، كفرعون وقومه، ومن آمنوا به من بني إسرائيل آذوه أيضا بالمخالفة له كقولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: 152] وقولهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ [المائدة: 26] وغيره من الأنبياء لم يؤذه إلا من لم يؤمن به [تفسير المراغي: 21 / 117].

﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: جعلنا التوراة هدايةً لبني إسرائيل من الضلالة، فالضمير في ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى﴾ يجوز أن يعود على الكتاب أو على موسى عليه السلام، وكلاهما سبب هدى، فوصف بأنه هدى للمبالغة في حصول الاهتداء به، وهو معطوف على آتينا موسى الكتاب، وما بينهما اعتراض.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ أي: وجعلنا منهم قادةً يُتبعون في الخير ويدعون الخلق إلى طاعتنا ويرشدونهم إلى الدين بأمرنا وتكليفنا ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ لما تحملوا مشاق الدعوة في سبيل الله، وصبروا على ما لقوه من فرعون وقومه من العذاب والاضطهاد ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ وكانوا يصدقون بآياتنا أشد التصديق وأبلغه.

ثانيا: فصل الله في أمور عباده يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾ أي: إن ربك يقضي ويحكم بين المؤمنين وغيرهم يوم القيامة، فيميز بين المحقِّ والمبطل، حتى يكون الجزاء لكل بما يستحقه قسطًا وعدلا، وفق العمل الذي عمله. ولا يستطيع أن يحكم بينهم أحد إلا الله سبحانه وتعالى ﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: فيما يختلفون فيه من أمور الدين من البعث والجزاء وغيرهما.

والآية استئناف بياني؛ لأنه لما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ﴾ أثير سؤال في نفوس المؤمنين الذين سمعوا ما في القرآن من وصف اختلاف بني إسرائيل وانحرافهم عن دينهم، وشاهد كثير منهم بني إسرائيل في زمانه غير متحلين بما يناسب ما قامت به أئمتهم من الهداية، فيودون أن يعلموا سبب ذلك، فكان في هذه الآية جواب ذلك تعليما للنبي ﷺ وللمؤمنين [التحرير والتنوير لابن عاشور: 21 / 238].

والضمير في ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ لجميع الخلق، وقيل: لبني إسرائيل خاصة. واستعمل الضمير المنفصل ﴿هُوَ﴾ ليدل على التأكيد والاختصاص.

والآية تقتضي أن اختلافهم أبطل ما جاءهم من الهدى والحق؛ لأنه اختلاف في العقيدة وأصل الدين، ولأنه لا يستند إلى أدلة، بل هو مبني على اتباع الهوى والتعصب للرأي.

وليس من هذا الاختلاف، اختلاف الأئمة في الفروع وفي فهم الأحكام، مما لا يناقض الأصول، فكل هذا محمود غير مذموم لوقوعه في عهد النبي ﷺ، فقد ثبت أن الصحابة اختلفوا في زمان الرسالة ولم ينكر ذلك عليهم.

وتخاطب هذه الآية النبي ﷺ ومن خلاله أمته، وتوجههم إلى تجنب الاختلاف بينهم الذي يسبب الشقاق والنزاع ويقضي على روح التآلف والمودة بين المسلمين.

وتقرر هذه الآيات أصلا من أصول العقيدة وهو الرسالة والنبوة، حيث أثبتت الرسالة لموسى عليه السلام، وبينت للنبي ﷺ أن الله جعل من بني إسرائيل أئمة يدعون الناس إلى الخير ويرشدونهم إلى الطريق المستقيم بعدما تحملوا وصبروا على إيذاء فرعون وجنوده، وبعدما صدقوا تصديقا جازما بما أنزل على موسى عليه السلام. وفي هذا تسلية للرسول ﷺ وتثبيت له، بأن ما يلاقيه من قومه من إنكار رسالته وتعريضه للأذى لن يدوم كثيرا، فكما وفق الله تعالى بني إسرائيل وجعل منهم من يرشد الناس ويعلمهم دينهم، سيجعل من هذه الأمة من يتولى نشر الإسلام والدفاع عنه.

التقويم :

1. بين(ي) الحكمة من التعرض لقصة موسى عليه السلام مع قومه في هذه الآيات.
2. استنتج(ي) من الآيات تكامل رسالات الأنبياء والرسل.
3. وضح(ي) من خلال الدرس الاختلاف المحمود والمذموم.

الاستثمار :

قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿119﴾﴾ [هود: 119].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: «يَقُولُ تَعَالَى: وَكُلُّ أَخْبَارٍ نَقُصُّهَا عَلَيْكَ، مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ الْمُتَقَدِّمِينَ قَبْلَكَ مَعَ أُمَمِهِمْ، وَكَيْفَ جَرَى لَهُمْ مِنَ الْمُحَاجَّاتِ وَالْخُصُومَاتِ، وَمَا احْتَمَلَهُ الْأَنْبِيَاءُ مِنَ التَّكْذِيبِ وَالْأَذَى، وَكَيْفَ نَصَرَ اللهُ حِزْبَهُ الْمُؤْمِنِينَ وَخَذَلَ أَعْدَاءَهُ الْكَافِرِينَ -كُلُّ هَذَا مِمَّا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ -يَا مُحَمَّدُ -أَيْ: قَلْبَكَ، لِيَكُونَ لَكَ بِمَنْ مَضَى مِنْ إِخْوَانِكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ أُسْوَةً»

[تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 4 / 363].

وقال ابن عاشور رحمه الله: «وَتَثْبِيتُ فُؤَادِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زِيَادَةُ يَقِينِهِ وَمَعْلُومَاتِهِ بِمَا وَعَدَهُ اللهُ لِأَنَّ كُلَّ مَا يُعَادُ ذِكْرُهُ مِنْ قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَحْوَالِ أُمَمِهِمْ مَعَهُمْ يَزِيدُهُ تَذَكُّرًا وَعِلْمًا بِأَنَّ حَالَهُ جَارٍ عَلَى سُنَنِ الْأَنْبِيَاءِ وَازْدَادَ تَذَكُّرًا بِأَنَّ عَاقِبَتَهُ النَّصْرُ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَتَجَدُّدُ تَسْلِيَةٍ عَلَى مَا يَلْقَاهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنَ التَّكْذِيبِ وَذَلِكَ يَزِيدُهُ صَبْرًا. وَالصَّبْرُ: تَثْبِيتُ الْفُؤَادِ». [التحرير والتنوير لابن عاشور: 12 / 192].

بين(ي) من النصين الحكمة من قص الله تعالى أخبار الرسل مع أممهم على رسوله ﷺ.

الإعداد القبلي :

اقرأ(ئي) الآيات 26 – 30 من سورة السجدة وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح(ي) الكلمات الآتية: أَوَلَمْ يَهْدِ - ٱلْجُرُزِ - ٱلْفَتْحُ - يَنتَظِرُونَ.
2. استخرج(ي) من الآيات الغاية من تأكيد الله تعالى على إثبات وحدانيته.

الدرس 14

سورة السجدة
(الآيات: 26 – 30)

أهداف الدرس :

1. أن أتعرف مفردات الآيات ومضامينها العامة.
2. أن أستنتج من الآيات ما يؤكد توحيد الله تعالى والبعث والنشور.
3. أن أستشعر عظمة الله تعالى وعظمة يوم القيامة.

تمهيد :

لما كانت السورة قد تناولت في بدايتها مبادئ العقيدة، جاءت هذه الآيات لتؤكد على وحدانية الله تعالى وتبين كمال قدرته بأمثلة محسوسة وبراهين واضحة، وترد على المنكرين لليوم الآخر بأن هذا اليوم آت لا محالة، وتوجه الرسول ﷺ إلى الإعراض عنهم وانتظار نصرته عليهم وهلاكهم.

فما هي الأدلة على توحيد الله تعالى؟ وكيف ردت هذه الآيات على منكري البعث والنشور؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (26) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (27) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (28) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (29) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ (30)﴾ [السجدة: 26 – 30]

الفهم :

الشرح:

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ : أولم يبين لهم طريق الحق.

﴿ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ : الأرض اليابسة التي لا نبات فيها.

﴿ٱلْفَتْحُ﴾ : الفصل والحكم.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: ولا هم يمهلون للتوبة.

استخلاص مضامين الآيات:

1. كيف أكدت الآيات على توحيد الله تعالى؟

2. بما ذا قررت الآيات ثبوت البعث والحشر؟

التفسير :

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: التأكيد على ثبوت قدرة الله تعالى وتوحيده:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ هذه الآية عطف على جملة ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: 22] ومعنى الآية: أو لم يبين لهم طريق الحق، كثرةُ من أهلكنا من القرون السالفة الذين يمشون فى أرضهم، ويشاهدون آثار هلاكهم، كعاد وثمود وقوم لوط. وهؤلاء المكذبون يرون بأم أعينهم مساكن الأمم السابقة خاوية خالية، أفلا يسمعون ما يوعظون به ليتعظوا ويعتبروا؟ وهذا ما أكدته آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (133) إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ (134) إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ (135) ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ (136) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (137) وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (138)﴾ [الصافات: 133-138].

والاستفهام إنكاري، أي: لم لم يهتدوا بدلائل النظر والاستدلال التي جاءهم بها القرآن الكريم فأعرضوا عنها، ولا اتعظوا بمصارع الأمم الذين كذبوا أنبياءهم.

والضمير في ﴿يَمْشُونَ﴾ لأهل مكة، أي: يمشون في مساكن القوم المهلكين كقوله تعالى: ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ [العنكبوت: 38] ويمرون على المواضع التي فيها بقايا مساكنهم مثل حجر ثمود وديار مدين، فتعضد مشاهدة مساكنهم الأخبار الواردة عن استئصالهم، وهي دلائل إمكان البعث كما قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (63) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (64)﴾ [الواقعة: 63 – 64]. وقيل: الضمير للمهلكين، أي: أهلكناهم وهم يمشون في مساكنهم، والأول أحسن، لأن فيه حجة على أهل مكة.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: إن في إهلاك الأمم السابقة لدلالات عظيمة على قدرة الله تعالى، أفلا يسمع المنكرون هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ؟

وفي هذه الآية إقامة الحجة على المنكرين لقدرة الله تعالى، بالأمم السابقة الذين كفروا فأهلكهم الله؛ ثم أقام عز وجل الحجة على قدرته على البعث، مقربا ذلك للمنكرين بقدرته على إحياء الأرض الموات بالماء والنبات، فقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ﴾ هذا عطف على: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ ومعنى الآية: أولم يشاهد هؤلاء المكذبون بالبعث والنشور كمال قدرتنا في سوقنا الماء وتوجيهه إلى الأرض القاحلة من شدة العطش، فترتوي وتنبت الزروع والثمار، فيأكل منها الإنسان والحيوان.

والجرز: اسم للأرض التي انقطع نبتها، وهو مشتق من الجرز، وهو: انقطاع النبت والحشيش، إما بسبب يبس الأرض أو بالرعي. فالأرض الجرز: هي التي انقطع نبتها. ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ أفلا يبصرون ذلك بأم أعينهم ليعلموا، فيستدلون بذلك على قدرة الله على إحياء الأرض بعد موتها، ويدركون أن الذي يحي الأرض الميتة قادر على إحيائهم بعد موتهم.

ثانيا: التأكيد على ثبوت البعث والنشور:

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: ويقول هؤلاء المكذبون إنكارا لحلول عقاب الله بهم، وتكذيبا لما جاءهم به رسول ربهم: متى يكون هذا الحكم والفصل بيننا وبينكم وتكون لكم الغلبة؟ فأجابهم الله سبحانه بقوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: قل لهم يا محمد على سبيل التقريع والتوبيخ: إن يوم القيامة هو يوم الفتح الحقيقي الذي سيفصل فيه الله تعالى بيننا وبينكم، وسينصر فيه رسوله ﷺ والمؤمنين، وحينئذ لا ينفع المشركين إيمان، ولا يمهلون ليتوبوا من شركهم وكفرهم.

والفتح: النصر والقضاء. والمراد به: نصر أهل الإيمان بظهور فوزهم وخيبة أعدائهم، فإن خيبة العدو نصر لضده. وكان المسلمون يتحدون المشركين بأن الله سيفتح بينهم وينصرهم وتظهر حجتهم، فكان الكافرون يكررون التهكم بالمسلمين بالسؤال عن وقت هذا الفتح استفهاما مستعملا في التكذيب حيث لم يحصل المستفهم عنه.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ أي: فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين المستهزئين، وبلغ رسالتك كما أمرك بها ربك، ولا تبال بهم، وانتظر هلاكهم وما سيفعله الله بهم فإنهم ينتظرون هلاكك، وفي هذا تهديد لهم.

والانتظار: الترقب. وأصله مشتق من النظر فكأنه مطاوع: أنظره، أي: أنظره فانتظر، أي: تكلف أن ينظر. وحذف مفعول انتظر للتهويل، أي: انتظر أياما يكون لك فيها النصر.

وجملة إنهم منتظرون تعليل لما تضمنه الأمر بالانتظار من إضمار العذاب لهم.

ومفعول منتظرون محذوف دل عليه السياق، أي: منتظرون لكم الفرصة لحربكم أو لإخراجكم قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: 28] وقال: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (99)﴾ [التوبة: 99] أي: لم نكن ظالمين في تقدير العذاب لهم لأنهم بدأوا بالظلم.

وقد أكدت هذه الآيات على تقرير قدرة الله تعالى، ودحضت مزاعم المشركين من خلال أدلة واضحة ومشاهدة لهم، تتمثل في قدرته تعالى على إحياء الأرض بعد موتها، لذلك فهو قادر على إحياء الإنسان بعد موته كما أحيا الأرض بعد موتها وقحطها.

وختمت السورة ببيان إنكار المشركين ليوم الفتح واستبعادهم له، حيث توعدهم الله سبحانه بأن هذا اليوم آت لا محالة وسيلقون فيه جزاءهم الذي يستحقونه.

التقويم :

1. استنتج(ي) من الآيات ما يؤكد قدرة الله تعالى ووحدانيته.
2. كيف أكد الله للمشركين ثبوت البعث والنشور؟
3. وضح(ي) وعيد الله للمكذبين المنكرين لليوم الآخر.

الاستثمار :

قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (43) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (44)﴾ [الحج: 43–44].

راجع(ي) أحد التفاسير واستخلص بعض العبر والمواعظ من الآيتين.

الإعداد القبلي :

اقرأ(ئي) الآيات 1 – 5 من سورة الحجرات وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. عرف(ي) سورة الحجرات.
2. اشرح(ي) العبارات الآتية: لَا تُقَدِّمُوا - بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ - أَن تَحْبَطَ - يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ - مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ
3. لماذا نهى الله تعالى عن التقدم بين يدي الله ورسوله؟

الدرس
15

سورة الحجرات
(الآيات: 1 - 5)

أهداف الدرس :

1. أن أتعرف مفردات الآيات ومضامينها العامة.
2. أن أستخلص من الآيات وجوب التأدب مع النبي ﷺ وطاعته واتباعه.
3. أن أتمثل قيمة الأدب مع رسول الله ﷺ في حياتي.

تمهيد :

سورة الحجرات مدنية وآياتها ثمان عشرة، نزلت بعد الجاثية، سميت بالحجرات لأن اللهَّ تعالى ذكر فيها تأديب بعض أجلاف العرب الذين كانوا ينادون رسول اللهَّ ﷺ من وراء حجرات نسائه رضي اللهَّ عنهن، منعا من إيذاء النبي ﷺ وتوقيرا لحرمة بيوته.

وتسمى أيضا سورة الأخلاق والآداب، لأنها أرشدت إلى آداب المجتمع الإسلامي وكيفية تنظيمه، وأشادت بمكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، ونودي فيها المؤمنون بوصف الإيمان خمس مرات، وأجملت أصول تلك الآداب في خمسة أصول، وهي: طاعة اللهَّ والرسول، وتعظيم شأن النبي ﷺ، والتثبت من الأخبار المنقولة، وتحريم السخرية بالناس، ومنع التجسس والغيبة وسوء الظن بالناس.

فما هي الآداب الواجبة للرسول ﷺ الواردة في الآيات؟ وكيف أتمثلها في حياتي؟

الآيـات:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ (1) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ (2) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ (3) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ (4) وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (5)﴾

[الحجرات: 1 - 5]

الفهم :

الشرح:

لَا تُقَدِّمُوا : لا تقدّموا أمرا أو حكما أو رأيا دونهما.

بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ : أمامهما.

أَن تَحْبَطَ : أن تبطل.

يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ : يخفضونها ويلينونها.

امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ : اختبرها وطهرها.

مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ : جمع حجرة وهي الغرف.

استخلاص مضامين الآيات:

1. استخرج(ي) من الآية الأولى واجب المسلم تجاه ربه ونبيه.
2. ما هي آداب مخاطبة الرسول ﷺ؟

التفسير :

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

ورد في سبب نزول هذه الآيات أحاديث كثيرة، منها: ما رواه البخاريّ عن عبد الله بن الزبير أنه قدم ركب من بني تميم على النبيّ ﷺ فقال أبو بكر: أمّر القعقاع بن معبد، وقال عمر: أمّر الأقرع بن حابس. فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي! فقال عمر: ما أردت خلافك! فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما. فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا .... ﴾.

[صحيح البخاري كتاب التفسير، سورة الحجرات].

ومعنى الآية: يا أيها المؤمنون إيمانا صحيحا، لا تتقدموا بقول أو فعل أو حكم أو قضاء في أمر ما قبل قضاء اللهّ تعالى ورسوله ﷺ لكم فيه، واتقوا اللهّ في كل أموركم، وراقبوه في عدم تخطي مالم يأذن به اللهّ تعالى ورسوله، فإن اللهّ سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم ونياتكم، لا يخفى عليه شيء منكم.

وتتضمن الآية النهي عن مخالفة كتاب اللهّ تعالى وسنة رسوله ﷺ، قال ابن عباس في الآية: «لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة». وقال الضحاك: «لا تقضوا أمرا دون اللهّ تعالى ورسوله ﷺ من شرائع دينكم». [تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 7 / 364]

ثانيا: النهي عن رفع الصوت عند رسول الله ووجوب التأدب في مخاطبته:

بعد الأمر بالتأدب مع الله ورسوله الشامل للقول والفعل، أمر الله عز وجل بالتأدب مع رسول الله في القول، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ أي: يا أيها المؤمنون باللهّ ورسوله إذا تكلمتم مع الرسول ﷺ فلا ترفعوا أصواتكم فوق صوته، لأن رفع الصوت يدل على قلة الاحترام، وخفض الصوت من التعظيم والتوقير لرسول الله ﷺ، ﴿وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾ أي: وإذا كلمتموه فخاطبوه بالسكينة والوقار، خلافا لما تعتادونه في كلام بعضكم من الجهر بالقول، ولا تنادونه باسمه، فلا تقولوا: «يا محمد» و«يا أحمد»، ولكن قولوا «يا نبي الله»، و«يا رسول الله»، توقيرا له، وتقديرا لرسالته، قال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا﴾ [النور: 61]

وقد علل الحق سبحانه هذا النهي عن الجهر بالقول أمام رسول الله ﷺ، ورفع الصوت دونه بقوله: ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ أي: خشية أن تبطل أعمالكم ويذهب ثوابها، والحالة أنكم لا تشعرون بذلك.

فقوله تعالى: ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ مفعول من أجله تقديره: مخافة أن تحبط أعمالكم إذا رفعتم أصواتكم فوق صوته، أو جهرتم له بالقول، وهذا المفعول من أجله يتعلق من طريق المعنى بالفعلين معا، (**لا ترفعوا، ولا تجهروا**) وأما من طريق الإعراب فالأولى أن يتعلق عند البصريين بالثاني وهو: «لا تجهروا»، وعند الكوفيين بالأول وهو «لا ترفعوا» على قاعدة التنازع في العمل.

وبعد نهيه تعالى عن رفع الصوت أمام رسول الله والجهر به بحضرته ﷺ يذكرنا سبحانه بأن خفض الصوت دونه من علامات التقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ أي: إن الذين يَخْفِضون أصواتهم عند رسول

الله أولئك الذين اختبر الله قلوبهم، وأخلصها لتقواه، لهم من الله مغفرة لذنوبهم وثواب جزيل، وهو الجنة.

وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فإنه لما نزلت الآية قبلها قال أبو بكر: والله يا رسول الله لا أكلمنك إلا سرا. وكان عمر يخفي كلامه حين يستفهمه النبي ﷺ. لكن لفظ الآية عام، والعبرة بعموم لفظها لا بخصوص سبب نزولها.

بعد هذا يخبرنا عز وجل بأن ما يصدر من بعض الأعراب من مناداته من خلف حجراته سببه الجهل وعدم إدراك آداب مناداة النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: إن الذين ينادونك -أيها النبي- من وراء حجراتك بصوت مرتفع، أكثرهم ليس لهم من العقل ما يحملهم على حسن الأدب مع رسول الله ﷺ وتوقيره. وفي معنى قوله تعالى: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يقول ابن جزي رحمه الله: يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون فيهم قليل من يعقل ونفي العقل عن أكثرهم لا عن جميعهم، والآخر أن يكون جميعهم ممن لا يعقل، وأوقع القلة موضع النفي، والأول أظهر في مقتضى اللفظ، والثاني أبلغ في الذم. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: أن صبرهم خير في الثواب عند الله، وفي انبساط نفس النبي ﷺ، وقضائه حوائجهم، وإنكار فعلهم فيه تأديب لهم وتعليم لغيرهم؛ لأن الله قد أمرهم بتوقيرك، والله غفور لما صدر عنهم جهلا من الذنوب والإخلال بالآداب، رحيم بهم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.

وقد نزلت الآية في وفد بني تميم، قدموا على النبي ﷺ فدخلوا المسجد ودنوا من حجرات أزواج النبي ﷺ ووقفوا خارجها ونادوا: يا محمد، اخرج إلينا، فكان في فعلهم ذلك جفاء وبداوة وقلة توقير، فتربص رسول الله ﷺ مدة ثم خرج إليهم، فقال له واحد منهم وهو الأقرع بن حابس: يا محمد، إن مدحي زين وذمي شين. فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك، ذلك هو الله»، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ...﴾.

وتهدف هذه الآيات إلى بيان بعض مقتضيات الإيمان بالله عز وجل وهي التسليم بالحاكمية لله ورسوله، وأن المؤمن لا رأي له إذا قضى الله ورسوله في أمر من الأمور، كما تهدف إلى تهذيب أسلوب الناس وتعليم آداب مخاطبة رسول الله ﷺ وما يجب له من الاحترام والتوقير، وأن ذلك كله من مقتضيات الإيمان وعلامات التقوى وسبب من أسباب المغفرة والأجر العظيم.

التقويم :

1. ما معنى التقدم بين يدي الله ورسوله؟
2. استنتج(ي) من الآيات كيفية التأدب مع النبي ﷺ.
3. كيف تتمثل هذه الآداب مع رسول الله ﷺ في وقتنا الحاضر؟

الاستثمار :

عن معاذ بن جبل رضي اللهَّ عنه، أَنَّ رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعث معاذا إلى اليمن قال: «كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟»، قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللهِّ، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللهَّ؟»، قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهَّ ﷺ، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهَّ ﷺ، وَلَا فِي كِتَابِ اللهَّ؟» قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي، وَلَا آلُو فَضَرَبَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ صَدْرَهُ، وَقَالَ: «الْحَمْدُ للهَّ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهَّ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللهِ».

[سنن أبي داود كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء]

1. ما العلاقة بين الحديث وما تفيده الآية الأولى من الدرس ؟
2. كيف يمكن أن يتقدم أناس بين يدي الله ورسوله في الوقت الحاضر؟

الإعداد القبلي :

اقرأ(ئي) الآيات 6-8 من سورة الحجرات وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح(ي) الكلمات الآتية: بِنَبَإٍ- فَتَبَيَّنُوٓاْ -فَتُصۡبِحُواْ -نَٰدِمِينَ -لَعَنِتُّمۡ.
2. ابحث(ي) عن سبب نزول الآيات.

الدرس 16

سورة الحجرات
(الآيات: 6 - 8)

أهداف الدرس :

1. أن أتعرف ألفاظ ومعاني الآيات موضوع الدرس.
2. أن أستنتج من الآيات المنهج الإسلامي في نقل الأخبار وقبولها.
3. أن ألتزم بالتثبت في الأخبار، حتى لا أقع في الحسرة والندم.

تمهيد :

بعد أن أمر اللهّ تعالى المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، وخفض الصوت احتراما وتوقيرا لرسوله ﷺ، أتبع ذلك بأمر ثالث وهو وجوب التثبت من الأخبار، والتحذير من قبول كل الأقوال، منعا من وقوع الفتنة بين أفراد المجتمع؛ وهذا أدب اجتماعي عام ضروري للحفاظ على وحدة الأمة وتماسكها، واستئصال أسباب المنازعات فيما بينها.

فما هو المنهج الإسلامي لقبول الأخبار التي ترشد إليه الآيات ؟ وما هي الآثار التي تترتب عن قبول الأخبار دون تثبت؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7) فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (8)﴾ [الحجرات: 6 - 8]

الفهم :

الشرح:

فَاسِقٌۢ : خارج عن حدود الدين أو الشرع، من الفسوق وهو الخروج من الشيء والانسلاخ منه.

بِنَبَإٍ : بخبر.

فَتَبَيَّنُوٓاْ : أي: اطلبوا بيان الحقيقة ومعرفة الصدق من الكذب.

فَتُصْبِحُواْ : فتصيروا.

نَٰدِمِينَ: مغتمين غما لازما، متمنين أنه لم يقع.

لَعَنِتُّمْ : لوقعتم في العنت وهو الجهد والهلاك والإثم.

استخلاص مضامين الآيات:

1. فيمن نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ... ﴾ ؟
2. حدد(ي) المنهج الإسلامي في نقل الأخبار وقبولها وعاقبة مخالفة هذا المنهج.
3. لماذا تجب طاعة الرسول ﷺ ؟

التفسير :

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: سبب نزول الآية:

جمهور المفسرين على أن هذه الآية نزلت في شأن الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط، حينما بعثه النبي ﷺ إلى بني المصطلق ليأخذ منهم زكاتهم، حيث واعدهم عليه الصلاة والسلام أن يرسل إليهم رجلاً ليأخذ منهم الزكاة، فلما حان الوقت أرسل إليهم الوليد بن عقبة، فلما رأوه أقبلوا إليه جميعاً فرحاً برسول رسول الله ﷺ، فخاف رضي الله عنه منهم، قيل بسبب إحنة كانت بينه وبينهم، فرجع إلى النبي – ﷺ– وأخبره أنهم ارتدوا عن الإسلام، فلما قص الخبر على النبي ﷺ أرسل إليهم خالد بن الوليد وأمره ألاّ يتسرع وأن يتثبت من الخبر، فأتاهم ليلاً وبعث أناسا يدخلون بينهم لاستكشاف حالهم، فلما أتوهم

وجدوهم متمسكين بالإسلام، وسمعوا الأذان، ورأوهم يؤدون الصلاة، فأتوا خالد بن الوليد رضي الله عنه فأخبروه، فعاد إلى النبي ﷺ فأخبره الخبر، فنزلت هذه الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.

وقد اتفق المفسرون القائلون بنزولها في شأن الوليد على أنه ظنّ ذلك فأخطأ، وليس في الروايات ما يقتضي أنه تعمد الكذب حتى يكون فاسقا، ولو كان الوليد كاذبا لتم تعزيره، ولم يثبت أن النبي ﷺ فعل ذلك، وقد كان خروج القوم للتعرض إلى الوليد بتلك الهيئة مثار ظنّه لأنه لم يكن من المعروف عندهم خروج القبائل لتلقّي السعاة. ولهذا فقد اتفق من ترجموا للوليد بن عقبة على أنه كان شجاعاً جواداً وكان ذا خلق ومروءة.

والآية وإن وردت على سبب خاص فهي عامة لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق، لقاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ثانيا: وجوب التثبت في نقل الخبر وقبوله:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ هذا ثالث نداء للمومنين في هذه السورة، ابتدئ به غرض آخر يتعلق بالآداب في علاقات الناس بعضهم مع بعض. ومعنى الآية: يا أيها المؤمنون إن جاءكم فاسق بأي نبإ فتوقفوا فيه، وتطلّبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة، ولا تعتمدوا على قوله دون تثبت، فإن من لا يبالي بالفسق أجدر ألا يبالي بالكذب ولا يتحاشاه؛ مخافة أن تصيبوا قوما بالأذى وأنتم جاهلون حالهم، فتندموا على ما صدر منكم وتتمنّوا أن لو لم تكونوا فعلتم ذلك. فقوله: ﴿أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ في موضع المفعول من أجله، تقديره: مخافة أن تصيبوا قوما بجهالة.

وقد استدل الجمهور بهذه الآية للقول بحجية خبر الواحد العدل، لأن الآية بمفهومها المخالف تقتضي أن خبر غير الفاسق مقبول، كما استدلوا بهذه الآية أيضا على أن المسلمين ليسوا كلهم عدولا، لأن الله أمر بالتبين قبل القبول، فالمجهول الحال يخشى أن يكون فاسقا.

ثالثا: وجوب طاعة الرسول واتباعه:

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾

تضمنت هذه الآية موعظة لهؤلاء المؤمنين الذين كانوا يريدون من النبي ﷺ أن يتبع رأيهم في الحوادث والأخبار، بأن عليهم طاعة الرسول واتباعه وليس العكس، حتى لا يقعوا في العنت والحرج، لأنه رسول يوحى إليه، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: واعلموا أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه وتأدبوا معه وانقادوا لأمره، فإنه أعلم بمصالحكم، وأشفق عليكم منكم كما قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: 6]، وأنه : ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ أي: لو سارع إلى ما أردتم منه قبل وضوح الأمر، وانقاد لما أشرتم به عليه من الآراء لوقعتم في الحرج والإثم، ولكنه لا يطيعكم في غالب ما تريدون قبل وضوح وجهه له، ولا يسارع إلى العمل بما يبلغه قبل النظر فيه.

وإنما قال تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ ولم يقل لو أطاعكم، للدلالة على أنهم كانوا يريدون استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم في الحال وفي المستقبل، والحق خلاف ذلك، وإنما الواجب أن يطيعوه لا أن يطيعهم، لأن رأي رسول الله ﷺ خير وأصوب من رأي غيره، ولو أطاع الناس في رأيهم لهلكوا، فالواجب عليهم الانقياد إليه والرجوع إلى أمره. ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ أي: ولكنّ جمعا منكم بريئون مما أنتم عليه من تصديق الكاذب وتزيين الإيقاع بالبريء، وإرادة أن يتبع الحق أهواءهم، لأن الله تعالى جعل الإيمان أحب الأشياء إليهم، فلا يقع منهم إلا ما يوافقه ويقتضيه من الأمور الصالحة وترك التسرع في الأخبار، وكرّه إليهم هذه الأمور الثلاثة: الكفر والفسوق والعصيان. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ أي: هؤلاء المتصفون بهذه الصفة هم الراشدون، السالكون طريق السعادة الملتزمون بالاستقامة. ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ أي: هذا العطاء الذي منحكم الله تفضل منه عليكم وإنعام منه سبحانه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: والله عليم بمن يستحق الهداية ومن يستحق الغواية، حكيم في تدبير شؤون خلقه وصرفهم فيما شاء من قضائه.

وتهدف هذه الآيات إلى وضع قواعد نقل الأخبار وتلقيها، وهي صدق الناقل وتثبت المتلقي، وهو أمر من شأنه أن يسهم في التآلف والتماسك الاجتماعي، ويحد من أسباب الضغينة والبغضاء الذي يسببه إطلاق الإشاعات والأقوال الكاذبة، خاصة تلك التي تمس بالأعراض أو تعرض حقوق الناس للضياع فيصبح المتسرع في التصديق والحكم على الناس نادما على العجلة وترك التأني والتثبت.

التقويم :

1. استنتج(ي) من الآيات المنهج الإسلامي في نقل الأخبار وقبولها.
2. لماذا يقع المتسرع في الأحكام بناء على ما يسمعه أو يصله من أخبار في الحسرة والندم.

3. كيف تتعامل مع الأخبار والإشاعات التي تصلك؟

الاستثمار :

قال ابن عبد البر رحمه الله: «**وَالصَّحِيحُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ مَنْ صَحَّتْ عَدَالَتُهُ وَثَبَتَتْ فِي الْعِلْمِ إِمَامَتُهُ وَبَانَتْ ثِقَتُهُ وَبِالْعِلْمِ عِنَايَتُهُ لَمْ يُلْتَفَتْ فِيهِ إِلَى قَوْلِ أَحَدٍ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ فِي جَرْحَتِهِ بِبَيِّنَةٍ عَادِلَةٍ يَصِحُّ بِهَا جَرْحَتُهُ عَلَى طَرِيقِ الشَّهَادَاتِ وَالْعَمَلِ فِيهَا مِنَ الْمُشَاهَدَةِ وَالْمُعَايَنَةِ**». [جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: 2 / 1093]

هل الأصل في الإنسان العدالة حتى يثبت جرحه؟ أو الجرح حتى تثبت عدالته؟

وضح (ي) من خلال النص :

الإعداد القبلي :

اقرأ(ئي) الآيتين 9 – 10 من سورة الحجرات وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح(ي) العبارات الآتية: طَآئِفَتَانِ - ٱقْتَتَلُواْ - بَغَتْ - تَفِيٓءَ - فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ - يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ.

2. ما هي وسائل فض المنازعات بين المسلمين ؟

الدرس 17

سورة الحجرات
(الآيات: 9 – 10)

أهداف الدرس :

1. أن أتعرف المفردات والمضامين العامة للآيات موضوع الدرس.
2. أن أستنتج من الآيتين كيفية فض المنازعات والخلافات بين المسلمين.
3. أن أتمثل التعاليم الإسلامية في الإصلاح بين الناس.

تمهيد :

بعد أن حذر المولى عز وجل المؤمنين في الآيات السابقة من نبأ الفاسق، بين في هاتين الآيتين ما قد يترتب عن هذا الخبر من الفتن التي قد تصل إلى الاقتتال، فأمر عز وجل في حالة حدوث ذلك بالإصلاح بين الفئتين المتنازعتين بالوسائل السلمية كالنصيحة والوعظ والإرشاد والتحكيم، فإن طغت إحدى الفئتين على الأخرى، فيتعين على الدولة قتالها حتى ترجع عن غيها واعتدائها وتعود إلى رشدها حماية لرباط الأخوة بين الطائفتين. ثم أمر الوسطاء والأطراف المتنازعة بتقوى اللهّٰ وطاعة أوامره.

فما هي الوسائل الشرعية لفض المنازعات بين المسلمين الواردة في الآيتين ؟ وما أهمية الإصلاح بين الناس؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿9﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿10﴾﴾ [الحجرات: 9 – 10]

الفهم :

الشرح:

طَآئِفَتَانِ : تثنية طائفة وهي الجماعة من الناس.

اقْتَتَلُواْ : قاتل بعضهم بعضا.

بَغَتْ : تعدت وجارت، من البغي وهو الظلم.

تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ : ترجع إلى الحق.

فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ : أزيلوا آثار النزاع بالإنصاف وضمان المتلفات.

وَأَقْسِطُوٓاْ : اعدلوا، من الإقساط الذي هو إزالة الظلم والجور.

يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ : يحمد العادلين بحسن الجزاء على فعلهم.

استخلاص مضامين الآيات:

1. فيمن نزلت الآيتان موضوع الدرس؟
2. ما هي الوسائل الشرعية لفض المنازعات بين المسلمين؟
3. كيف يمكن تثبيت الصلح بين المسلمين المتنازعين؟
4. ما هي فائدة الصلح بين المومنين؟

التفسير:

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: سبب نزول الآيتين:

روي في سبب نزول الآيتين مجموعة من الروايات منها: ما روي عن أنس بن مالك رضي اللهّ عنه قال: قيل للنبي ﷺ: **لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللهَّ بْنَ أُبَيٍّ، «فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَرَكِبَ حِمَارًا، فَانْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ وَهِيَ أَرْضٌ سَبِخَةٌ»، فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي، وَاللهَّ لَقَدْ آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ مِنْهُمْ: وَاللهَّ لَحِمَارُ رَسُولِ اللهَّ ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ، فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللهَّ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ،**

فَشَتَمَهُ، فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ، فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ وَالأَيْدِي وَالنِّعَالِ، فَبَلَغَنَا أَنَّهَا أُنْزِلَتْ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ...﴾

[صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس إذا تفاسدوا]

وقد ذكر المفسرون أسبابا أخرى لنزول الآيتين يمكن الجمع بينها بأنه قد تتعدد أسباب النزول ويكون النازل واحدا، فتكون الآيتان قد نزلتا لهذه الأسباب كلها. والقاعدة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قال ابن جزي: ثم حكمها باق إلى آخر الدهر.

ثانيا: وسائل فض المنازعات بين المسلمين:

قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: إذا تقاتلت فئتان من المسلمين، فعلى ولي الأمر أن يسلك ما يلي:

الوسيلة الأولى: الإصلاح بينهما بالنصح والدعوة إلى الله والإرشاد إلى الحق ورفع أسباب الخلاف.

وقد عبر القرآن الكريم بـ (إن) للدلالة على ندرة وقوع ذلك بين المومنين، والخطاب موجه لولاة الأمور لأن هذا من التزاماتهم بمقتضى البيعة الشرعية، ولأنهم وحدهم من يملك الحق في استعمال القوة عند الحاجة إليها لحماية الأفراد والمجتمع.

ووصف المتقاتلين بالمؤمنين يدل على أن المعصية، مهما عظمت لا تخرج صاحبها من الإيمان. وإنما قال اقتتلوا ولم يقل اقتتلا لأن الطائفتين في معنى القوم أو الناس، أو لأن أقل الجمع اثنان.

الوسيلة الثانية: إلزام الفئة المعتدية وحملها بالقوة على الرجوع إلى جادة الصواب والرجوع عن غيها واعتدائها؛ لكن القوة لا يلجأ إليها ولي الأمر إلا إذا اعتدت أو تجاوزت إحدى الفئتين على الأخرى، ولم تتقبل النصيحة، ففي هذه الحالة يتعين على المسلمين في شخص الحاكم أو الدولة بمؤسساتها المختصة أن يقاتلوا الطائفة الباغية حتى ترجع إلى حكم الله وتترك البغي والعدوان، ويكون القتال بالسلاح وغيره، مما يحقق المصلحة، وهي إرغام الفئة المعتدية على الرجوع عن اعتدائها، فإن تحقق المطلوب سلما بغير سلاح فذلك أفضل، وكانت الزيادة إسرافا وتجاوزا، وإن تعين السلاح، فيكون مغيا بالفيئة والرجوع، لما تقرر أن الضرورة تقدر بقدرها.

ثالثا: العدل أساس نجاح الصلح وتثبيته:

قال تعالى: ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ﴾ أي: اعدلوا بينهم فيما كان أصاب بعضهم بعضاً، بالقسط، وهو العدل. وتقييد الإصلاح بالعدل لأن الصلح بعد المقاتلة مظنة للحيف، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ أي لأن الله يحب العادلين ويجازيهم أحسن الجزاء.

وتدل الآية على أن رجوع الفئة المعتدية عن اعتدائها وإلقاءَها لسلاحها ليس غاية في حد ذاته، بل الغاية الكبرى هي إزالة أسباب النزاع وإرجاع المظالم وإقامة العدل بين الطائفتين في الحكم، وتحري الصواب المطابق لحكم اللهّ، حتى لا يتجدد القتال بينهما مرة أخرى، فالإسلام يأمر بالعدل في كل الأمور، قال رسول اللهّ ﷺ: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ الله عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**». [صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل.....]

رابعا: وجوب الإصلاح بين المومنين للمحافظة على الأخوة الإيمانية:

علل القرآن الكريم الأمر بالإصلاح بين المومنين بالأخوة التي تجمع بينهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: إنما المؤمنون إخوة في الدين، فأصلحوا بين أخويكم إذا اقتتلا وخافوا الله في جميع أموركم؛ رجاء أن تُرحموا.

وإنما ذكر أخويكم بلفظ التثنية لأن أقل من يقع بينهم البغي اثنان، وقيل أراد بالأخوين الأوس والخزرج، وقرأ ابن عامر «بين إخوتكم» بالتاء على الجمع، وقرئ «بين إخوانكم» بالنون على الجمع أيضا.

قال البيضاوي في تفسيره: «﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمْ مُنْتَسِبُونَ إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الإِيمَانُ المُوجِبُ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، وَهُوَ تَعْلِيلٌ وَتَقْرِيرٌ لِلأَمْرِ بِالإِصْلَاحِ، وَلِذَلِكَ كَرَّرَهُ مُرَتَّبًا عَلَيْهِ بِالْفَاءِ فَقَالَ: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ وَوَضْعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ مُضَافًا إِلَى الْمَأْمُورِينَ لِلْمُبَالَغَةِ فِي التَّقْرِيرِ وَالتَّخْصِيصِ، وَخُصَّ الِاثْنَيْنَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمَا أَقَلُّ مَنْ يَقَعُ بَيْنَهُمُ الشِّقَاقُ».

[أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: 2 / 216].

وتهدف هذه الآيات إلى تعزيز الأخوة بين المسلمين والتعايش بينهم والقضاء على كل أنواع الخلافات، كما تجعل العدل أساس التآلف بينهم، والإصلاح وسيلة لحل ما يحصل بينهم من نزاع.

التقويم:

1. استنتج(ي) من الآيتين الطريقة الشرعية لفض المنازعات بين المسلمين.
2. بين(ي) أهمية العدل في نشر السلم الاجتماعي بين الناس.
3. ما هو واجب المسلم تجاه ما يقع في محيطه الأسري والاجتماعي من نزاعات وخلافات؟

الاستثمار :

– قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (113)﴾ [النساء: 113].

– عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قَالَ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ؟»، قَالُوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: «**إِصْلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ**»

[سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب الإصلاح بين الناس]

– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ. فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُسْلِمٍ لاَ يُشْرِكُ بِالله شَيْئاً، إِلاَّ رَجُلٌ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ. فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا. أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا**». [الموطا، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في المهاجرة].

– وضح (ي) من خلال النصوص أهمية الصلح بين الناس وفضله في الإسلام.

الإعداد القبلي :

اقرأ(ئي) الآية 11 من سورة الحجرات وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح(ي) العبارات الآتية: لَا يَسْخَرْ – قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ – وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ – وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ – بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ.

2. حدد(ي) الصفات التي نهى الله عز وجل عنها في الآية.

الدرس 18

سورة الحجرات
(الآية: 11)

أهداف الدرس :

1. أن أتعرف الألفاظ والمضامين العامة للآية.
2. أن أستنتج من الآية أهمية احترام شعور الناس واعتبارهم في تعزيز المحبة والتآلف بينهم.
3. أن ألتزم في حياتي بترك الاشتغال بعيوب الناس ولمزهم والسخرية بأحوالهم.

تمهيد:

بعد أن بين المولى عز وجل آداب الإنسان مع ربه ومع نبيه في آيات سابقة، وضرورة التثبت من الأخبار ومعالجة ما قد يقع بين المومنين من نزاعات وقتال، تأتي الآية موضوع الدرس لبيان بعض ما ينبغي أن تكون عليه علاقة المؤمن مع أخيه المؤمن مما يقوى الرابطة الأخوية بينهم، من الامتناع عن السخرية، واللمز والتنابز بالألقاب.

فما هو مفهوم السخرية، واللمز والتنابز بالألقاب؟ وما هي آثارها على العلاقات بين المومنين؟

الآية :

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11)﴾ [الحجرات: 11]

الفهم :

الشرح:

لَا يَسْخَرْ : من السّخرية: الازدراء والاحتقار عن طريق محاكاة القول أو الفعل أو الإشارة أو غيرها.

قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ : القوم في الآية هم الرجال خاصة.

﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ : لا يعب بعضكم بعضا.

﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِالْأَلْقَٰبِ﴾ : لا تتداعوا بالمكروه من الألقاب.

﴿بِئْسَ الِاسْمُ﴾ : ساء الاسم.

استخلاص مضمون الآية:

حدد(ي) الصفات الذميمة التي وقع النهي عنها في الآية.

التفسير:

نهت الآية المؤمنين عن ثلاث صفات مذمومة، لأنها تؤذي الناس في حضورهم وتزدري بأحوالهم وأسمائهم وصفاتهم، وذلك على الشكل الآتي:

أولا: السخرية من الناس:

نهى الحق سبحانه وتعالى عباده المومنين عن السخرية من الناس، والاستهزاء بهم واحتقارهم، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ أي: يا أيها المؤمنون بالله ورسوله لا يهزأ قوم من قوم، والمراد بالقوم هنا الرجال خاصة، وهو جمع قائم، كصوْم وزَوْر، جمع صائم وزائر، أو تسمية بالمصدر، كما في قول العرب: «إذا أكلت طعاماً أحببت نوماً، وأبغضت قوماً»، أي: قياماً.

واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية ؛ إذ لو كانت النساء داخلة في الرجال لم يقل: ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾. وإطلاق القوم على الرجال دون النساء مستعمل عند العرب، ومن ذلك قول زهير:

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي   أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ ؟

وقد يطلق القوم على الذكور والإناث معا على سبيل التغليب كما في قوم عاد وفرعون.

وقد روي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ روايات كثيرة، قال الضحاك: نزلت في وفد بني تميم، استهزؤوا بفقراء الصحابة، مثل عمّار وخبّاب وابن فهيرة وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهم، لما رأوا من رثاثة حالهم، فنزلت في الذين آمنوا منهم. وقيل: نزلت في عكرمة بن أبي جهل حين قدم المدينة مسلما، وكان المسلمون إذا رأوه قالوا: ابن فرعون هذه الأمة، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت.

وقد علل القرآن الكريم نهيه عن السخرية بالناس واحتقارهم فقال جل من قائل: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ أي: عسى أن يكون المسخُورُ منهم خيراً عند الله تعالى من الساخرين؛ لأن الناس لا يَطَّلِعون إلا على الظواهر.

وكما وجه النهي عن السخرية للرجال وجه للنساء لأنهن شقائق الرجال، قال تعالى: ﴿وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ أي: ولا يسخر نساءٌ من نساءٍ عسى أن يَكُون المسخور منهن خيراً من الساخرات، لأن مناط الخيرية ليس هو ما يظهر من الصور والأشكال، التي عليها يدور أمر السخرية، وإنما هي الأمور الكامنة في القلوب، من تحقيق الإيمان والإخلاص والعمل الصالح، والكثير من هذه الأمور خَفيّة، فقد يسخر الإنسان ممن عظمه اللهُ، ويحتقر من وقره الله، لذلك ينبغي ألا يجترئ أحد على الاستهزاء بأحد إذا رآه رثّ الحال، أو ذا عاهة في بدنه. وفي الحديث: «**لا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأَخِيكَ فيُعافِيهِ اللهُ ويبْتَلِيكَ**» [سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورق].

وعن أبي هريرة رضي اللهَّ عنه قال: قال رسول اللهَّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**» [صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله....]

وسبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ﴾ أن صفيّة بنت حييّ بن أخطب أتت رسول اللهَّ ﷺ، فقالت: يا رسول اللهَّ، إن النساء يعيّرنني، ويقلن لي: يا يهودية بنت يهوديّين! فقال رسول اللهَّ ﷺ: «هَلَا قُلْتِ: إِنَّ أَبِي هَارُونَ، وَإِنَّ عَمِّي مُوسَى، وَإِنَّ زَوْجِي مُحَمَّدٌ» فأنزل اللهَّ هذه الآية. وقيل: نزلت في نساء النبي ﷺ عيّرن أم سلمة بالقصر.

وتنكير قوم ونساء في الآية ؛ إما لإرادة البعض، أي: لا يسخر بعضُ المؤمنين والمؤمنات من بعض، وإما لإرادة الشيوع، فتكون كل جماعة منهم مَنهية عن السخرية، وإنما لم يقل: رجلٌ من رجل، ولا امرأةٌ من امرأة؛ إعلاماً بإقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية، ولأن السخرية تغلب في المجامع.

ثانيا: لمز الناس والطعن فيهم:

نهى الحق سبحانه عن اللمز بقوله: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: ولا تلمزوا الناس، ولا يطعن بعضكم على بعض، ولا يعب بعضكم بعضا بقول أو فعل أو إشارة. وقد جعل الله لمز بعض المؤمنين لمزا للنفس، لأنهم كنفس واحدة، فمتى عاب المؤمن أخاه، فكأنما عاب نفسه، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [النساء: 29]، أي: ولا يقتل بعضكم بعضا، وقيل لا تفعلوا ما تلمزون به؛ فإن من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه.

والفرق بين السخرية واللمز: أن السخرية احتقار الشخص مطلقا، على وجه مضحك بحضرته، واللمز: التنبيه على معايبه، سواء كان على شيء مضحك أم غيره، وسواء أكان بحضرته أم لا، وعلى هذا يكون اللمز أعم من السخرية، ويكون من عطف العام على الخاص، لإفادة الشمول.

والفرق بين الهمز واللمز أن الهمز يكون بالفعل، واللمز يكون بالقول، وقد عاب الله من اتصف بذلك، وذم كلا منهما في قوله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: 11]، وقوله عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: 1]

ثالثا: التنابز بالألقاب وتسمية الناس بما يكرهون من الأسماء:

بعد النهي عن السخرية واللمز نهى الحق سبحانه عن التنابز بالألقاب، فقال: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ التنابز بالألقاب التداعي بها، أي: لا يدعُ أحد أحدا بلقب يكرهه كأن يقول المسلم لأخيه المسلم: يا فاسق، يا منافق، وغير ذلك من الألقاب التي يكرهها المخاطب، وقد نص العلماء على تحريم تلقيب الإنسان بما يكره، سواء بصفة له أو لأبيه أو لأمه، أو لكل من ينتسب إليه.

روي عن أبي جبيرة بن الضحاك رضي الله عنه قال: فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ قال: قَدِمَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ وَلَيْسَ مِنَّا رَجُلٌ إِلَّا وَلَهُ اسْمَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «يَا فُلَانُ» فَيَقُولُونَ: مَهْ يَا رَسُولَ الله، إِنَّهُ يَغْضَبُ مِنْ هَذَا الِاسْمِ، فَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾. [سنن أبي داود، كتاب الآداب، باب فِي الْأَلْقَابِ]

ويجوز تسمية الأشخاص بالألقاب المحمودة التي لا يكرهونها، كما قيل لأبي بكر: عتيق، ولعمر: الفاروق، ولعثمان: ذو النورين، ولعلي: أبو تراب، وغير ذلك، ونص المحدثون على جواز أن يقال الأعمش والأعرج ونحوه إذا دعت إليه الضرورة، ولم يقصد النقص والاستخفاف.

وقد ختم الحق سبحانه هذه الآية بما يدل على التنفير من هذه الصفات الذميمة، ودعوة من صدرت منه عن جهالة إلى التوبة إلى الله من ذلك، قال تعالى: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: ساء الوصف أن يسمى الرجل فاسقا أو كافرا أو زانيا بعد إسلامه وتوبته، أو أن يذكر بالفسوق بعد الدخول في الإيمان، والمراد: ذم اجتماع صفة الفسوق مع الإيمان بسبب التنابز بالألقاب، وذلك تغليظ وتنفير شديد، حيث جعل التنابز فسقا، وهو تعليل للنهي السابق.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: ومن لم يتب عما نهى الله عنه من الأمور الثلاثة (السخرية، واللمز، والتنابز بالألقاب) فهو من الظالمين، بسبب العصيان بعد الطاعة، وتعريض النفس للعذاب.

وتهدف الآية إلى المحافظة على الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع، ونبذ كل أسباب الفرقة والنزاع والعداوة والبغضاء، التي منها السخرية بالناس والاستهزاء بأحوالهم وهيآتهم واللمز فيهم وتسميتهم بما يكرهون من الأسماء، حتى يكون المجتمع الإسلامي متماسكا متعاونا على الخير، تسود فيه المحبة والتآلف.

التقويم :

1. وضح(ي) الفرق بين السخرية والهمز واللمز.
2. استنتج(ي) من الآية الحكمة من النهي عن الصفات الواردة في الآية ؟
3. كيف تتعامل في حياتك مع ما يظهر لك في بعض الناس من عيوب؟

الاستثمار :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، اَلْمُسْلِمُ أَخُو اَلْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، اَلتَّقْوَى هَا هُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ اِمْرِئٍ مِنَ اَلشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ اَلْمُسْلِمَ، كُلُّ اَلْمُسْلِمِ عَلَى اَلْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»

[صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله].

1. ما الفوائد الاجتماعية للنهي عن الصفات الواردة في الحديث ؟
2. لماذا اعتبر الحديث أن أبرز مظهر للشر في المسلم أن يحقر أخاه المسلم؟

الإعداد القبلي :

اقرأ(ئي) الآية 12 من سورة الحجرات وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح(ي) العبارات الآتية: ٱجْتَنِبُواْ - ٱلظَّنِّ - إِثْمٌ - وَلَا تَجَسَّسُواْ - وَلَا يَغْتَب
2. بم شبه الله عز وجل من يغتاب أخاه المسلم؟

الدرس
19

سورة الحجرات
(الآية: 12)

أهداف الدرس :

1. أن أتعرف ألفاظ ومضامين الآية موضوع الدرس.
2. أن أستنتج من الآية الحكمة من تحريم سوء الظن بالناس والتجسس عليهم واغتيابهم.
3. أن أتجنب في سلوكي ظن السوء بأهل الخير أو التجسس عليهم أو اغتيابهم.

تمهيد :

هذه الآية تتميم لما تقدم مما ينبغي أن يكون عليه المؤمن مع المؤمن ومع الناس كافة، فبعد ما نهت الآية السابقة عن سخرية الناس بعضهم من بعض، ولمزهم ونبزهم بغير أسمائهم، تأتي هذه الآية لتنهى المؤمن عن إساءة الظن بالناس وتتبع عوراتهم، واغتيابهم.

فما الحكمة من النهي عن هذه الصفات؟ ولماذا مثلت الآية المغتاب بمن يأكل لحم أخيه ؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتٗا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ (12)﴾

[الحجرات: 12]

الفهم :

الشرح:

ٱجْتَنِبُواْ : ابتعدوا.

ٱلظَّنِّ : التهمة بدون دليل.

إِثْمٌ : ذنب مؤثم.

وَلَا تَجَسَّسُواْ : ولا تبعثوا عن عورات الناس، وكشف ما ستروه.

وَلَا يَغْتَب : ولا تذكر أخاك بما يكره في غيبته.

استخلاص مضمون الآية:

حدد الصفات التي نهى الله عنها في هذه الآية.

التفسير:

نهت الآية المؤمنين عن ثلاث صفات مذمومة أخرى تتعلق بعلاقة الإنسان بأخيه، تضاف إلى ما تقدم في الآية السابقة لتكون منظومة أخلاقية إسلامية متميزة، وهي:

أولا: سوء الظن بالناس:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ أي: يا أيها المصدقون بالله ورسوله، ابتعدوا عن كثير من الظن، وهو ظن السوء بأهل الخير، ومن ظاهره الصلاح والتقوى والأمانة، وهذا هو الظن القبيح المنهي عنه.

وقد علل القرآن الكريم النهي عن سوء الظن بالناس بقوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ﴾ أي: إن بعض الظن وهو ظن السوء بأهل الخير، أو ظن الشر بالمؤمن ﴿إِثْمٌ﴾ أي: ذنب، وقيل: المراد بالإثم هنا الكذب لقوله ﷺ: «**فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**»، لأنه قد لا يكون مطابقا للواقع، وقيل: إنما يكون إثما إذا تكلم به، وأما إذا لم يتكلم به فلا حرج فيه؛ لأن الإنسان قد لا يقدر على دفع الخواطر.

واستدل بعض العلماء بهذه الآية على صحة سد الذرائع في الشرع، لأنه أمر باجتناب كثير من الظن، للسلامة من الوقوع في بعض الظن الذي هو إثم، وقد وردت أحاديث كثيرة في تحريم سوء الظن

بالمؤمن، منها: ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهَّ ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**». [صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس...].

ويفهم من هذه الآية أن المنهي عنه هو بعض الظن، وهو الظن السيء بأهل الخير، وأما ظن الخير بأهل الخير فذلك جائز. وكذلك ظن السوء بأهل الفسوق المجاهرين بالفجور والمعاصي، من أجل تجنبهم وعدم التأثر بسلوكهم، لكن دون تكلم بذلك عليهم أو اغتيابهم، فإذا تكلم الإنسان بذلك الظن وأبداه للناس أثم.

ثانيا: التجسس على الناس:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أي: ولا تبحثوا عن عورات الناس ومعايبهم، وتستكشفوا ما ستروه، وتستطلعوا أسرارهم ومثالبهم لتذيعوها بين الناس، وقرأ الحسن: تحسسوا بالحاء، فالتحسس بالحاء يكون في الخير والتجسس بالجيم في الشر. وقد وردت أحاديث كثيرة تنهى عن هذا الخلق المذموم منها: ما رواه أبو داود وغيره عن أبي برزة الأسلمي قال: «خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: **يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يُفْضَحْ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ**» [شعب الإيمان للبيهقي، فَصْلٌ فِي ترك تتبع عورات المسلمين].

ثالثا: الغيبة:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: لا يذكر بعضكم بعضا في غيبته بما يكره، سواء أكان ذلك صراحة أو إشارة أو غير ذلك، لما فيه من الأذى بالمغتاب، وهو يتناول كل ما يكره، سواء تعلق بدينه أو دنياه، أوخلقته أو خلقه، أو بماله أو ولده أو زوجته أو لباسه ونحو ذلك.

والغيبة هي ذكر الإنسان أخاه بما يكره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْغِيبَةُ؟ قَالَ**: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**» **قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟** «**قَالَ إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ**» [سنن أبي داود، كتاب الآداب، باب الغيبة].

وقد رخص في الغيبة في بعض المواضع على سبيل الاستثناء، منها: التجريح في الشهادة، والرواية، والنكاح وشبهه، وفي التحذير من أهل الضلال، ويدل على ذلك قوله ﷺ لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر: «**ائْذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ، أَوِ ابْنُ العَشِيرَةِ**» [صحيح البخاري، كتاب الآداب، باب ما يجوز من

اغتياب أهل الفساد والريب] وقوله ﷺ لفاطمة بنت قيس رضي الله عنها، وقد خطبها معاوية وأبو الجهم: «أما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له انكحي أسامة بن زيد» [صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها]

وتنفيرا من هذه الصفة الذميمة، شبه الله تعالى المغتاب بمن يأكل لحم أخيه الإنسان الميت، وهو شيء يكرهه كل إنسان بطبعه، قال تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي: فإذا كان أحدكم يكره أكل لحم أخيه بعد موته، وإذا كانت النفس تعاف ذلك بالطبيعة، فعليكم أن تكرهوا أن تغتابوه في حياته، وهذا تنفير وتوبيخ وتقبيح شديد، فضلا عن كونه محرما شرعا، فالغيبة حرام شرعا، وقبيحة عقلا وعرفا ودينا.

قال ابن جزي رحمه الله: ثم زاد في تقبيحه أن جعله ميتا لأن الجيفة مستقذرة، ويجوز أن يكون ميتا حال من الأخ أو من لحمه، وقيل: فكرهتموه إخبار عن حالهم بعد التقرير. كأنه لما قررهم قال: هل يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا؟ أجابوا فقالوا: لا نحب ذلك فقال لهم. فكرهتموه، وبعد هذا محذوف تقديره: فكذلك فاكرهوا الغيبة التي هي تشبهه، وحذف هذا لدلالة الكلام عليه، وعلى هذا المحذوف يعطف قوله: واتقوا الله، قاله أبو علي الفارسي، وقال الرماني: كراهة هذا اللحم يدعو إليها الطبع، وكراهة الغيبة يدعو إليها العقل، وهو أحق أن يجاب لأنه بصير عالم، والطبع أعمى جاهل.

وقد اختتمت الآية بأمر الناس بتقوى الله عز وجل والتوبة إلى الله مما يكون قد صدر منهم من ظن السوء بالناس والتجسس عليهم واغتيابهم قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: واتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، وراقبوه في ذلك واخشوا منه، إن الله تواب على من تاب إليه، رحيم بمن رجع إليه واعتمد عليه.

وتهدف هذه الآية إلى حماية الكرامة الإنسانية والتعايش بين الناس، ونشر ثقافة احترام خصوصية الأشخاص وعدم وصاية أحد على الآخر؛ لأن ذلك يؤدي إلى التنافر والتباغض ويمس بتماسك المجتمع وتعايشه ولذلك جاء في خطبة حجة الوداع قوله ﷺ: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**». [سنن أبي داود، كتاب المناسك،باب صفة حجة النبي ﷺ].

التقويم :

1. استنتج(ي) من الآية الحكمة من تحريم الظن بالناس والتجسس عليهم.
2. بين(ي) حكم الغيبة وآثارها في المجتمع.

3. كيف تتعامل مع خصوصية الناس وأسرارهم؟

الاستثمار :

وَقَالَ أَبُو قِلَابَةَ: حُدِّثَ عُمَرُ ابنُ الْخَطَّابِ أَنَّ أَبَا مِحْجَنٍ الثَّقَفِيَّ يَشْرَبُ الْخَمْرَ مَعَ أَصْحَابٍ لَهُ فِي بَيْتِهِ، فَانْطَلَقَ عُمَرُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ، فَإِذَا لَيْسَ عِنْدَهُ إِلَّا رَجُلٌ، فَقَالَ أَبُو مِحْجَنٍ: إِنَّ هَذَا لَا يَحِلُّ لَكَ! قَدْ نَهَاكَ اللَّهُ عَنِ التَّجَسُّسِ، فَخَرَجَ عُمَرُ وَتَرَكَهُ. [الجامع لأحكام القران للقرطبي: 16 / 333].

1. لماذا خرج عمر رضي الله عنه وترك أبا محجن مع أنه يعلم أنه في معصية؟

2. استعرض بعض النصوص الشرعية التي تدعو إلى المحافظة على حرمة بيوت الناس وخصوصياتهم.

الإعداد القبلي :

اقرأ(ئي) الآية 13 من سورة الحجرات وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح(ي) العبارات الآتية: شُعُوبًا - وَقَبَآئِلَ - لِتَعَارَفُوٓاْ - أَتْقَىٰكُمْ.

2. حدد(ي) مفهوم المساواة بين الناس ومعيار التفاضل بينهم في الاسلام.

سورة الحجرات
(الآية: 13)

الدرس
20

أهداف الدرس :

1. أن أتعرف ألفاظ ومضامين الآية موضوع الدرس.
2. أن أدرك من خلال الآية أساس المساواة والتفاضل بين الناس.
3. أن أقتنع بوجوب التعايش في المجتمع رغم اختلاف مكوناته.

تمهيد :

بعد أن بينت الآيات السابقة ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من الآداب في علاقته بربه وبرسوله، وكذا بالناس عامة من احترامهم وعدم الازدراء بهم واحتقارهم، لما يترتب على ذلك من تزكية النفوس وتفضيلها على غيرها، جاءت هذه الآية الكريمة لتذكر عموم الناس بأنهم من أصل واحد، ذكر وأنثى، وأنهم متساوون في أصل الخليقة، لا فضل لأحد على آخر إلا بتقوى الله عز وجل الخبير وحده بأحوالنا وأعمالنا وتقوانا وسيجازي كلا عن عمله.

فما هو نوع المساواة الذي تشير إليه الآية؟ وما هو المعيار المعتبر للتفاضل؟

الآية :

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿13﴾﴾ [الحجرات: 13]

الفهم :

الشرح:

شُعُوبًا : جمع شعب وهم الجماعة من الناس.

وَقَبَآئِلَ : جمع قبيلة وهي ما دون الشعب والبطون والفصائل والأفخاذ.

لِتَعَارَفُوٓاْ : ليعرف بعضكم بعضا.

أَتۡقَىٰكُمۡۚ : أكثركم تقوى.

استخلاص مضامين الآية:

1. استخلص(ي) من الآية ما يدل على تساوي الإنسان في أصل الخليقة.
2. ما هو المعيار المعتبر للتفاضل بين الناس في الإسلام.

التفسير :

اشتملت الآية على ما يأتي:

أولا: المساواة بين الناس في الأصل والمنشأ:

أسس الحق سبحانه لقاعدة كبرى من قواعد الإسلام وأصل أصيل من أصوله وهو المساواة بين الناس في الأصل والخلق، فقد خلقهم الله جميعا من ذكر وأنثى قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ النداء هنا بصفة الناس وليس بصفة الإيمان كالآيات السابقة لأن الخطاب هنا يتناول جميع الناس مؤمنين وغير مؤمنين، ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ أي: لقد خلقناكم جميعا من أصل واحد، ذكر وأنثى، فأنتم متساوون في أصلكم، لأن نسبكم واحد، وأباكم واحد، وأمكم واحدة، لذلك لا يجوز لكم أن تتفاخروا بأصولكم وأنسابكم، لأن الكل في ذلك سواء.

والمراد بالذكر والأنثى في الآية آدم وزوجه، وقيل جنس الذكر والأنثى، قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد الجنس كأنه قال: إنا خلقنا كل واحد منكم من ذكر وأنثى، والأول أظهر.

﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ﴾ أي: قد جعلناكم شعوبا: جمع شعب بفتح الشين، وهو أعظم من القبيلة، وتحته القبيلة، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم الفصيلة، وهم القرابة الأدنون، فمضر وربيعة وأمثالها شعوبا، وقريش قبيلة، وبني عبد مناف بطن، وبنو هاشم فَخْذٌ.

﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ أي: ليعرف بعضكم بعضا لا للتناكر، ولا للتفاخر بالأنساب، والمقصود بذلك التسوية بين الناس، والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب، والتباهي بالأنساب، فهذا الاختلاف الكوني وجد ليتم بين الناس التعاون والتآلف، والتآزر لمصلحة إنسانيتهم، فيسعى كل واحد منهم لعبادة ربه وخالقه، ومنفعة نفسه وبني جنسه فتنمو الإنسانية وتسعد بها يقدمه لها أبناؤها من مواهب وقدرات إنهائية وحضارية وثقافية.

وقد جاءت هذه الآية الكريمة في زمان وظروف كان التمييز فيه بين البشر يستند إلى الجنس، واللون، والغنى والفقر، والقوة والضعف، والحرية والعبودية، فجاء هذا التشريع الرباني ليسوي بين الناس ويلغي كل أنواع التمييز في أصل النشأة والتكوين، بأن لا يكون هناك فرد أفضل من غيره، أو جماعة تفوق غيرها بحسب عنصرها الإنساني، أو انحدارها من سلالة معينة، فآدم عليه السلام وهو أول إنسان وجد على وجه الأرض يساوي آخر إنسان ينفخ فيه الروح في تلك القيمة الإنسانية، لأن التفاضل لا يجري فيما لا يملكه الإنسان كالخلق والتكوين، وإنما يقع فيما يملكه ويدخل تحت قدرته وطاقته، كفعل الخيرات وترك المنكرات، فالإيمان بالله تعالى والصلاة والزكاة والصوم والحج ونحوه من الأعمال الصالحة، كلها أعمال يستطيع الإنسان القيام بها، وأداءها على أحسن وجه ولذلك صح التفاضل فيها بحسب عمل كل واحد منهم وأدائه لها.

وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية صورا رائعة في المساواة بين الناس في الإسلام حتى ولو اختلفت أجناسهم وألوانهم ودينهم، منها: ما رواه ابن أبي حاتم في سبب نزول هذه الآية عن ابن أبي مليكة قال: لما كان يوم الفتح، رقي بلال على ظهر الكعبة، فأذّن، فقال بعض الناس: أهذا العبد الأسود يؤذّن على ظهر الكعبة؟ فقال بعضهم: إن يسخط الله هذا يغيّره أو إن يرد الله شيئا يغيره، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ......الآية﴾، فدعاهم النبي ﷺ وزجرهم على التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء. [تفسير ابن أبي حاتم : 10 / 3306]

ثانيا: التقوى أساس التفاضل بين الناس:

نصت الآية الكريمة على أن تقوى الله عز وجل هي معيار التفاضل وألغت كل المعايير الأخرى السائدة للتفاضل، كالحسب والنسب القوة والضعف، والموقع الاجتماعي أو الاقتصادي، أو الطبقة التي ينتمي إليها الإنسان أو الجنس واللون، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ أي: إن أكرمكم وأفضلكم عند اللهّ هو أكثركم تقوى وخوفا من الله عز وجل، جاء في حجة الوداع **عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِّ ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ»، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِّ [ﷺ]...».** [مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار]

وأخرج الترمذي عن عبد الله بن بسر أن أعرابيا قال: يا رسول اللهّ، من خير الناس؟ قال: «**مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ**» [سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في طول العمر للمؤمن] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكم وبأعمالكم، ﴿خَبِيرٞ﴾ بأحوالكم وأموركم.

وتهدف هذه الآية إلى تقرير المساواة بين الناس في القيمة البشرية، وعدها من الأمور الأساسية التي يجب أن يؤمن بها كل إنسان، فقد قررت أن الناس سواسية كأسنان المشط في أصل نشأتهم وتكوينهم، وأنه لا فرق في ذلك بين المؤمن وغير المؤمن ولا بين الذكر والأنثى، ولا بين العربي والأعجمي، ولا بين الأبيض والأسود، ولا بين الغني والفقير، لأن هؤلاء جميعا ينحدرون من أصل واحد هو آدم، وآدم من تراب. وعن هذا النوع من المساواة، نوه القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70] والتكريم هنا شامل للجنس كله، فجنس الإنسان مكرم عند الله بلا تفرقة بين مجموعة وأخرى، بل كل مجموعة ينظر إليها بمنظار واحد هو الإنسانية.

التقويم :

1. استنتج(ي) من الآية مبدأ المساواة بين الناس الذي أقره الإسلام.
2. لماذا اعتبرت التقوى هي أساس التفاضل بين الناس؟
3. كيف تسهم القيم التي تضمنتها الآية في التعايش بين الناس رغم اختلافهم؟

الاستثمار :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ﷺ: «إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهَّ مِنَ الْجِعْلاَنِ الَّتِى تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ»

[سنن أبي داود، كتاب الآداب، باب في التفاخر بالأحساب]

1. لماذا أنكر النبي ﷺ على الناس فخرهم بآبائهم وأقوامهم في الحديث؟
2. استنتج(ي) من الحديث ما يدل على المساواة بين الناس.

الإعداد القبلي :

اقرأ(ئي) الآيات 14 – 18 من سورة الحجرات وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح(ي) العبارات الآتية: الْأَعْرَابُ - لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ - لَمْ يَرْتَابُوا - يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا .
2. حدد(ي) الفرق بين الإيمان والإسلام.

الدرس 21

سورة الحجرات
(الآيات : 14 – 18)

أهداف الدرس :

1. أن أتعرف ألفاظ ومضامين الآيات موضوع الدرس.
2. أن أستنتج من الآيات حقيقة الإيمان الصحيح وصفات المؤمنين.
3. أن أقوي إيماني وأخلص فيه لله سبحانه وتعالى.

تمهيد :

بعد أن امتن الأعراب على رسول الله بإيمانهم، ذمّهم الله سبحانه، وأبان ضعف إيمانهم، ووضح لهم حقيقة الإيمان الصحيح المتمثل في الاعتقاد بالقلب والقول باللسان والعمل بالجوارح. وأكد سبحانه بأن الله يعلم السر والعلانية، وأنه لا ينبغي للمؤمن أن يمتن بإيمانه، بل الله تعالى هو الأحق بالامتنان عليه لما هداه لذلك وأرشده للحق.

فما هو الإيمان الصحيح ؟ وكيف وجه الله الأعراب لذلك من خلال هذه الآيات؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿قالت الاعراب ءامنا قل لم تومنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم (14) انما المومنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون (15) قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الارض والله بكل شيء عليم (16) يمنون عليك أن اسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان إن كنتم صادقين (17) إن الله يعلم غيب السماوات والارض والله بصير بما تعملون (18)﴾ [الحجرات: 14 – 18]

الفهم

الشرح:

ﭐلۡأَعۡرَابُ : الأعراب سكان البادية والمراد هنا وفد من بني أسد.

أَسۡلَمۡنَا : استسلمنا وانقدنا.

لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ : لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئا.

لَمۡ يَرۡتَابُواْ : لم يشكوا فيما آمنوا به.

يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْ : يعدون إسلامهم مِنَّة عليك تستوجب حمدهم وشكرهم.

استخلاص مضامين الآيات:

1. حدد(ي) مفهوم الإيمان الصحيح.
2. استخرج(ي) صفات المؤمنين من الآيات.
3. بماذا مَنَّ الأعراب على رسول الله ﷺ؟

التفسير :

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: حقيقة الإيمان الصحيح:

قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّا﴾ زعمت الأعراب وقالوا: صدقنا بالله ورسوله ونحن له مؤمنون فكذبهم الله تعالى ورد عليهم بقوله ﴿قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ أي: قل لهم يا محمد لم تؤمنوا؛ لأن الإيمان هو تصديق بالله ورسوله مع اطمئنان القلب، وهذا لم يحصل لكم بعد؛ لأنكم مننتم على رسول الله ﷺ بعدم مقاتلته، ولأن الله تعالى مطلع على قلوبكم، ولكن قولوا: انقدنا لك واستسلمنا لك خوف القتل والأسر، ولا ندخل معك في حرب، ولا نكون عونا لعدوك عليك. ولفظةُ ﴿لَمَّا﴾ تفيد التوقع.

وقد نزلت هذه الآيات في أعراب قدموا المدينة في سنة جدب ببلادهم فأسلموا وكانوا يقولون للنبي ﷺ أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالأثقال والعيال والذراري، ولم نقاتلك كما قاتلك الآخرون، يمنون عليه بهذه المقالة، ويريدون أن تصرف إليهم الصدقات، فلما استنفروا إلى الحديبية تخلفوا، فنزلت فيهم هذه الآيات إلى آخر السورة، فكذبهم الله في قولهم آمنا، وصدقهم حين قالوا أسلمنا.

وهذا على أن الإيمان هو التصديق بالقلب، والإسلام هو الانقياد بالنطق بالشهادتين، والعمل بالجوارح، فالإسلام والإيمان في هذا الموضع متباينان في المعنى، وقد يكونان متفقين، وقد يكون الإسلام أعم من الإيمان فيدخل فيه الإيمان حسبما ورد في مواضع أخر.

﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ أي: وإن تطيعوا الله ورسوله في الأوامر والنواهي لا ينقصكم من أعمالكم شيئا. فإن قيل: كيف يعطيهم أجور أعمالهم وقد قال: إنهم لم يؤمنوا ولا يقبل عمل إلا من مؤمن؟ فالجواب: أن طاعة الله ورسوله تجمع صدق الإيمان وصلاح الأعمال، فالمعنى إن رجعتم عما أنتم عليه من الإيمان بألسنتكم دون قلوبكم، وعملتم أعمالا صالحة، فإن الله لا ينقصكم منها شيئا.

وقد ذكر بعض المفسرين أن هؤلاء الأعراب ليسوا منافقين، وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، وادعوا مرتبة أعلى مما هم فيه، فأدبهم الله تعالى على ذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: عظيم المغفرة واسع الرحمة.

ثانيا: صفات المؤمنين بالله ورسوله:

ثم انتقلت الآيات تبين حقيقة المؤمنين بالله ورسوله وصفاتهم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم، هم الذين صدّقوا الله ورسوله في كل ما أخبرا به، فسلموا لله بالوحدانية، وأقروا لرسوله بالرسالة ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ أي:لم يشكوا في إيمانهم، بل ثبتوا على التصديق واليقين، وفي ذلك تعريض بالأعراب المذكورين بأنهم في شك ﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وبذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ هؤلاء المتصفون بالصفات المتقدمة هم الصادقون حقا، لا من أسلم خوف القتل وبحثا عن الغنائم.

ولما نزلت هذه الآية أقسم الأعراب - كاذبين - أنهم مؤمنون بالله في السر والعلانية، فرد الله سبحانه عليهم بقوله: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾

أي: قل لهم: أتخبرون الله بما في ضمائركم وما تنطوي عليه سرائركم، والله غني عن ذلك فهو يعلم كل ما في السموات وما في الأرض، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ثالثا: ذم المن على الله سبحانه، وعلى ورسوله ﷺ:

قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ أي: يعدّون إسلامهم ومتابعتهم لَكَ ونصرتهم إياك منّة يطلبون منك أجرها وينتظرون منك حمدهم وشكرهم على ذلك ﴿قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ﴾ أي: قل لا تمتنوا علي بإسلامكم فنفعه عائد عليكم لا على غيركم ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: بل لله المنة العظيمة عليكم بهدايتكم للإسلام إن كنتم صادقين في ذلك.

وقوله: ﴿يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى ينعم عليكم أو بمعنى: يذكر إنعامه، وهذا أحسن لأنه في مقابلة يمنون عليك.

ثم أكد الله تعالى مضمون الآية ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: يعلم ما غاب عن الأبصار في السموات والأرض، وعلمه محيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية.

وقد قررت هذه الآيات حقيقة الإيمان الصحيح الذي لا يقتصر على ما ظهر من الأعمال، بل يرتكز على التصديق بالقلب والامتثال لأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه بجميع الأركان والجوارح، ونبهت إلى عدم جواز المن على الله ورسوله بالإسلام والإيمان، فالله سبحانه هو صاحب الجود والإنعام، يعلم غيب السموات والأرض ويعلم السر وأخفى.

التقويم:

1. وضح(ي) حقيقة الإيمان الصحيح.
2. بين(ي) صفات المؤمنين الواردة في الآيات.
3. كيف ذم الله الأعراب ووجه سلوكهم؟

الاستثمار:

روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للأنصار يوم حنين لما وجدوا في أنفسهم شيئا، بسبب استثنائهم من توزيع الغنائم: «أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ الله، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ الله، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ الله بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ قَالُوا: بَلِ الله وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ، قَالَ: أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟

قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَللهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ؟ قَالَ: أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ...».

[مسند الإمام أحمد، مسند أبي سعيد الخذري].

1. بم امتن رسول الله ﷺ عليهم على الأنصار؟
2. استنتج(ي) أدب الأنصار مع رسول الله ﷺ.

الإعداد القبلي :

اقرأ(ئي) الآيات 1 – 5 من سورة (ق) وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. عرف(ي) سورة (ق).
2. اشرح(ي) العبارات الآتية: الْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ - مُنذِرٌ مِّنْهُمْ - رَجْعٌ بَعِيدٌ - كِتَابٌ حَفِيظٌ - أَمْرٍ مَّرِيجٍ.
3. على ماذا أقسم الله تعالى في مستهل السورة ؟

الدرس 22

سورة ﴿ق﴾ (الآيات: 1 - 5)

أهداف الدرس:

1. أن أتعرف معاني ألفاظ الآيات ومضامينها العامة.
2. أن أستنتج من الآيات موقف مشركي قريش من الرسالة والبعث.
3. أن أقوي إيماني بنبوة سيدنا محمد ﷺ وبكل ما أخبر به من الأمور الغيبية.

تمهيد :

سورة (ق) مكية إلا الآية الثامنة والثلاثين فمدنية، وآياتها خمس وأربعون، نزلت بعد المرسلات. وقد تناولت تقرير أصل عظيم من أصول الإيمان هو البعث بعد الموت. وفي هذه الآيات موضوع الدرس يبين لنا القرآن الكريم صدق نبوة نبينا محمد ﷺ، وثبوت البعث بعد الموت، وهما أمران أنكرهما المشركون واعتبروهما أمرا غريبا لا تقبله عقولهم الضالة.

فلماذا أنكر المشركون إمكان البعث؟ وكيف رد الله عز وجل عن جحودهم؟

الآيات :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قٓ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ (1) بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ (2) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ (3) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ (4) بَلْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ (5)﴾ [ق: 1 - 5]

الفهم :

الشرح:

ٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ : المجيد من المجد، وهو الشرف والكرم.

مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ : هو سيدنا محمد ﷺ.

رَجْعٌ : مصدر رجعته والمراد به البعث بعد الموت.

بَعِيدٌ : بعيد الوقوع عندهم.

كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ: اللوح المحفوظ، والحفيظ الجامع الذي لم يفته شيء.

أَمْرٍ مَّرِيجٍ : مضطرب.

استخلاص مضامين الآيات:

1. على ماذا أقسم الله سبحانه في مطلع هذه السورة؟
2. بم واجه الكفار نبوة محمد ﷺ وإخباره بالبعث بعد الموت؟

التفسير :

اشتملت الآيات الخمس على ما يأتي:

أولا: قسم المولى عز وجل على صدق الرسالة والبعث:

قال تعالى: ﴿قٓ﴾ يقال في ﴿قٓ﴾ ما قيل في فواتح السور من أقوال، ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ أقسم الله سبحانه بالقرآن الكريم ذي المجد والشرف، والمقسم عليه الذي هو جواب القسم محذوف تقديره: ما ردوا أمرك بحجة وما كذبوك ببرهان وشبه ذلك، واستغني عن هذا الجواب المحذوف، لوضوح الدلالة عليه، ولوروده في مواطن أخرى من القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿يسٓ ۝ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ (1) إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (2)﴾ [يس: 1 – 2] ووقع الإضراب عن هذا المحذوف ببل، في قوله عز وجل: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ والضمير في عجبوا لكفار قريش، والمنذر هو سيدنا محمد ﷺ. وقد وضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ لقصد ذمهم بالتصريح بصفة الكفر، كقول القائل: جاءني فلان فقال الفاجر كذا وكذا، إذا قصدت ذمه.

وتعجبهم يحتمل أن يكون من أن بعث الله رسوله من البشر، أو من الأمر الذي يتضمنه الإنذار وهو الحشر، أو هما معا.

ومعنى الآيتين: أقسم بالقرآن الكريم كثير الخير والبركة، أو الرفيع القدر والشرف، إنك يا محمد، جئتهم منذرا بالبعث؛ لكن الكافرون المكذبون برسالتك عجبوا من إرسال رسول إليهم من البشر ينذرهم بالحشر والبعث بعد الموت وما يتبعه من حساب وعقاب، فقالوا هذا شيء مستغرب يتعجب منه.

ثانيا: إنكار المشركين للبعث والرد عليهم:

قال تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ العامل في إذا محذوف تقديره: أَنُبعث ونرجع أحياء إذا متنا وتفرقت أجزاؤنا في الأرض، وصرنا ترابا منثورا، وعظاما بالية؟ ونعود إلى الحياة وترجع أجسامنا كما كانت عليه من بنية وتركيب؟ ذلك البعث والرجوع أمر بعيد الوقوع ومستبعد عقلا، لأنه في عقلهم المحدود والضعيف غير ممكن وغير مألوف عادة لذلك هم لا يؤمنون به.

وقد رد الله عز وجل على هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث والنشور بأنه سبحانه يعلم ما تأكل الأرض من أجساد موتاهم وعظامهم، فقال: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي: قد علمنا ما تنقص الأرض وتُفني من أجسامهم فلا يصعب علينا بعثهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُ الْأَرْضُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ**»

[مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة].

والعَجْب بالسكون العَظْمُ الذي في أسْفل الصُّلْب عند العَجُز.

﴿وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ يعني اللوح المحفوظ، ومعنى حفيظ: محفوظ من التغيير والتبديل، جامع لا يشذ عنه شيء مما يجري عليهم في حياتهم وبعد مماتهم.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ هذا إضراب ثان أتبع به الإضراب الأول، للدلالة على أنهم جاءوا بما هو أقبح من تعجبهم، وهو التكذيب بالحق الذي هو نبوة سيدنا محمد ﷺ، وما تضمنته من الإخبار بالبعث والنشور وغير ذلك ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ أي: مضطرب مختلط، لا يثبتون على شيء، ولا يستقر لهم قرار، لأنهم تارة يقولون: شاعر، وتارة يقولون ساحر، وغير ذلك من أقوالهم.

وتهدف هذه الآيات إلى تثبيت نبوة محمد ﷺ نذيرا للناس بالبعث بعد الموت وما يتبعه من الجزاء على الأعمال، وتبيين عدم اهتداء كفار قريش إلى الإيمان برسالة محمد ﷺ لأنه بشر منهم، وعدم إيمانهم

بالحياة بعد الموت؛ لأنهم يجهلون قدرة الله عز وجل وأنه على كل شيء قدير، وأنه إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

التقويم :

1. استنتج(ي) من الآيات موقف الكفار من البعث بعد الموت.
2. ما هي حجة المشركين في إنكارهم لنبوة محمد ﷺ؟
3. كيف تقوي هذه الآيات إيمانك بنبوة سيدنا محمد ﷺ وبالبعث بعد الموت؟

الاستثمار :

جاء في تفسير الطبري أن أبي بن خلف الجمحي أتى إلى النبي ﷺ بعظم حائل، فقال: الله مُحْيِي هَذَا يَا مُحَمَّدُ وَهُوَ رَمِيمٌ؟ وَهُوَ يَفُتُّ الْعَظْمَ. فقال النبي ﷺ: «يُحْيِيهِ الله، ثُمَّ يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ النَّارَ» فنزلت هذه الآيات:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (76) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (77) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (78) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (79) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (80) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (81) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (82) ﴾ [يس: 76 – 82] [تفسير الطبري: 11 / 87]

ما الذي جعل أبي بن خلف وأمثاله يكذبون بالبعث بعد الموت؟ وكيف رد الله عليه؟

الإعداد القبلي:

اقرأ(ئي) الآيات 6 – 11 من سورة (ق) وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح(ي) العبارات الآتية: فُرُوجٍ – رَوَاسِيَ – زَوْجٍ – بَهِيجٍ – مَاءً مُّبَارَكًا – حَبَّ الْحَصِيدِ – بَاسِقَاتٍ – طَلْعٌ نَّضِيدٌ.
2. وضح(ي) دلائل قدرة الله من خلال خلق السموات والأرض.

الدرس 23

سورة ﴿ق﴾
(الآيات: 6 - 11)

أهداف الدرس :

1. أن أتعرف مفردات الآيات ومضامينها العامة.
2. أن أستنتج من الآيات كمال قدرة الله عز وجل على الخلق، ونعمه على المخلوق.
3. أن أقوى حجتي وإيماني بقدرة الله الكاملة على الخلق والرزق.

تمهيد :

بعد أن تحدثت الآيات السابقة على إنكار المشركين لنبوة محمد ﷺ وما أخبر به من وقوع البعث بعد الموت، تأتي الآيات موضوع الدرس لتلفت نظر هؤلاء المشركين المكذبين بوقوع البعث إلى خلق السموات وما فيها من كواكب تزينها، والأرض وما فيها من جبال وأشجار ونبات، وما في خلقهما من إتقان وإبداع؛ ليدركوا أن خالقهما قادر على إحياء الموتى بعد فناء أجسادهم، لأن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس.

فما هي مظاهر قدرة الله تعالى؟ وكيف أقوي إيماني من خلال النظر في خلق الله وإبداعه؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (6) وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ (7) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (8) وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ (9) وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (10) رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ (11)﴾ [ق: 6 - 11]

الفهم :

الشرح:

فُرُوجٖ :شقوق وَفُتُوقٍ.

رَوَٰسِيَ : جبالا ثوابت لحفظ الأرض من الاضطراب.

زَوۡجِۭ : صنف من النبات.

بَهِيجٖ : حسن جميل.

مُّنِيبٖ : كثير الرجوع إلى الله وإلى طاعته.

حَبَّ ٱلۡحَصِيدِ : القمح والشعير ونحو ذلك مما يحصد.

بَاسِقَٰتٖ : طويلات.

طَلۡعٞ نَّضِيدٞ : الطلع أول ما يظهر من الثمر، وهو أبيض منضد كحب الرمان.

استخلاص مضامين الآيات:

1. استخرج(ي) من الآيات ما يدل على إبداع الله في خلق السموات.
2. أين تتجلى قدرة الله تعالى في خلقه الأرض؟
3. ما هي مظاهر قدرة الله في إنزاله المطر على عباده؟

التفسير :

اشتملت الآيات على ثلاثة أدلة على قدرة الله على البعث وغيره:

أولا: خلق السموات وتزيينها بالكواكب وتسويتها دون شقوق:

لما كان كفار قريش إنما كذبوا في الواقع بالقرآن وبنبوة محمد ﷺ الثابتة بالمعجزات وكذا بالبعث بعد الموت، من غير ترو ولا تدبر ولا تفكر، وإنما كذبوا به بمجرد تبليغهم به من قبل هذا الرسول، مما جعلهم مضطربين في أقوالهم ومواقفهم، وبعد أن رد الله عليهم بأنه يعلم ما تأكل الأرض من أجساد موتاهم، وعظامهم، ولا يخفى عليه أين تفرقت ذرات أجسادهم؛ تأتي هذه الآيات لتبين لهم أدلة كمال قدرة الله عز وجل الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

وأول هذه الأدلة خلق السموات ورفعها بغير عمد، وتزيينها بالكواكب والنجوم، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ أي: أفلم ينظر هؤلاء الكفار، المكذبون بالبعث بعد الموت، المنكرون قدرتنا العظمى، بأعينهم إلى هذه السماء المرفوعة فوقهم بغير أعمدة تعتمد عليها، المزيّنة بالكواكب المنيرة كالمصابيح، وليس فيها شقوق وفتوق وصدوع ليدركوا إتقان صنعتها التي تدل على قدرة الصانع على الخلق والإبداع.

ثانيا: خلق الأرض وما فيها من جبال، ونباتات وحيوانات:

الدليل الثاني على كمال قدرة الله عز وجل هو خلق الأرض وما فيها من جبال ونبات، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ أي: أولم ينظروا إلى الأرض التي بسطناها ووسعناها، وألقينا فيها جبالا ثوابت لئلا تميد بأهلها وتضطرب، وأنبتنا فيها من كل صنف ذي بهجة وحسن منظر، من جميع الزروع والثمار والأشجار والنباتات المختلفة الأنواع، كما قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (49) فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (50)﴾ [الذاريات: 49-50]. ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ أي: فعلنا ذلك لتبصرة العباد وتذكيرهم، فيتبصر بكل ما ذكر من الخلق البديع ويتأمل العبد المنيب الراجع إلى ربّه وطاعته ويفكر في بدائع هذه المخلوقات.

ثالثا: إنزاله عز وجل المطر من السحاب وإخراج النبات من الأرض:

هذا دليل ثالث على كمال قدرة الخالق من خلال النظر إلى كيفية الخلق في النبات، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ (9) وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (10)﴾ أي: انظروا إلى قدرتنا كيف أنزلنا من السحاب ماء المطر، فأنبتنا به البساتين الكثيرة الخضراء والأشجار المثمرة، وحبات الزرع الذي يحصد ويقتات به كالقمح والشعير ونحوهما، والنخيل الطوال الشاهقات التي لها طلع منضّد متراكم وملتصق بعضه ببعض. والمراد: كثرة الطلع وتراكمه الدال على كثرة التمر ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ وقد أخرج الله تعالى بهذا الماء، الحب والنخيل والبساتين، ليكون ذلك كله رزقا للعباد يأكلون منه هم وأنعامهم، وأحيى الله بهذا الماء المنزل من السماء الأرض الموات المجدبة التي لا نبات فيها، فأنبتت واخضرت فانتفع بها الناس والأنعام، وكما أخرج الله النباتات والأشجار من الأرض الموات بإنزال المطر عليها، كذلك يخرج الله الأموات من قبورهم ويحييهم، ويعيد خلق أجسادهم، ولا شيء يستعصي على قدرته تعالى.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ تمثيل لخروج الموتى من القبور بخروج النبات من الأرض.

وقد دعت الآيات إلى النظر وإعمال العقل وذم التقليد، فالنظر في الكون يمكن من استحضار قدرة اللهّ تعالى العظيمة لإثبات البعث الذي أنكره كفار قريش، ومن ذلك النظر في السموات المبنية بغير أعمدة، المزينة بالكواكب المنيرة، والأرض البديعة الجميلة التي بسطها اللهّ لتصلح للعيش الهنيء المريح، وثبتها بالجبال الراسخات الشامخات، وأنبت فيها النباتات والأشجار ذات الألوان المختلفة والأشكال العجيبة والروائح العطرة والثمار الطيبة اليانعة، وأن عدم النظر فيما سبق وغيره، هو الذي أدى بكفار قريش إلى إنكار النبوة والجحود بالبعث والتعجب من إعادة إحياء الإنسان بعد الموت، كما بينت الآيات جود الله سبحانه على عباده من خلال ما أنعم به على الإنسان من نعمة الخلق والرزق.

التقويم :

1. بين(ي) بعض الدلائل الكونية على قدرة الله عز وجل.
2. كيف تستنتج(ين) من الآيات دليل قدرة الله على البعث؟
3. كيف تقوي هذه الآيات إيمانك بقدرة الله عز وجل وإحيائه الإنسان بعد موته؟

الاستثمار :

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (163)﴾ [البقرة: 163]

بين(ي) أهمية إعمال العقل والنظر في الآيات الكونية في إثبات العقائد.

الإعداد القبلي :

اقرأ(ئي) الآيات 12 – 18 من سورة (ق) وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح(ي) العبارات الآتية: فَحَقَّ وَعِيدِ – أَفَعَيِينَا – بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ – لَبْسٍ – خَلْقٍ جَدِيدٍ – مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ – حَبْلِ الْوَرِيدِ – عَتِيدٌ.
2. ابحث(ي) في قصص الأمم الواردة في الآيات وأنواع العقاب التي حلت بهم.

الدرس 24

سورة ﴿ق﴾
(الآيات: 12 - 18)

أهداف الدرس :

1. أن أتعرف ألفاظ ومضامين الآيات موضوع الدرس.
2. أن أستنتج من الآيات قدرة الله على البعث بعد الموت.
3. أن أستحضر عظمة الله تعالى من خلال كمال قدرته وإحاطة علمه بكل شيء.

تمهيد :

بعد الحديث عن إنكار مشركي قريش لنبوة محمد ﷺ وما جاء به، يقص القرآن الكريم في الآيات موضوع الدرس على نبيه قصص بعض الأمم السابقة التي كذَّبت أنبياءها قبل مشركي قريش، وهم: قومُ نوح، وأصحاب الرس، وثمود، وعاد، وفرعون، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة، وقوم تُبَّع الحِمْيَري، فحق عليهم وعيد الله وعقابه، ثم أكدت الآيات قدرة الله على إعادة خلق الإنسان بعد موته، وأن علمه عز وجل محيط بكل شيء.

فلماذا قص الله سبحانه خبر تكذيب هذه الأمم لأنبيائها؟ وكيف أقام الحجة على وقوع البعث؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (12) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (13) وَأَصْحَٰبُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (14) أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (15) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18)﴾ [ق: 12 – 18]

الفهم :

الشرح:

أَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ : أصحاب بئر كانوا مقيمين حولها يعبدون الأصنام.

تُبَّعٍ : هو رجل صالح من حمير باليمن.

وَعِيدِ : فحل بهم الهلاك.

أَفَعَيِينَا : أفَعَجَزْنا.

بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ : خلق الإنسان أول مرة من النطفة.

لَبْسٍ : شك.

خَلْقٍ جَدِيدٍ : البعث.

مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ : تحدثه نفسه.

حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ : عرق كبير في العنق، والمراد قرب علم الله واطلاعه على عبده.

يَتَلَقَّى : تلقي الكلام: حفظه وكتابته.

ٱلْمُتَلَقِّيَانِ : الملكان الحافظان الكاتبان للأعمال.

قَعِيدٌ : قاعد.

عَتِيدٌ : حاضر.

استخلاص مضامين الآيات:

1. بين(ي) دلالة ذكر الأقوام السابقين في الآيات.
2. استخرج(ي) من الآيات ما يدل على قدرته عز وجل على إحياء الإنسان بعد الموت.

التفسير :

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: تكذيب بعض الأقوام السابقين لأنبيائهم وجزاؤهم:

ما زال الكلام مستمرا في تقرير عقيدة البعث والجزاء، وإثبات النبوة للرسول ﷺ، فبعد الحديث عن إنكار مشركي قريش لنبوة محمد ﷺ وللبعث والجزاء، يخبرنا القرآن الكريم في الآيات موضوع الدرس بأنه قبل تكذيب هؤلاء وجحودهم كذبت مجموعة من الأمم السابقة أنبياءها وما جاءت به من عقيدة وشريعة، فحق عليهم العذاب الذي توعدهم الله تعالى به، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿12﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿13﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿14﴾﴾ أي: إن هؤلاء الأقوام المذكورين كلهم كذبوا رسلهم فحق عليهم الوعيد أي: الهلاك، وهم:

قوم نوح: كذبوا رسولهم نوحا عليه السلام، فأغرقهم الله بالطوفان.

أصحاب الرس: وهم قوم كانت لهم بئر عظيمة وهي الرس، بعث إليهم نبيا فجعلوه في الرس وردموا عليه فأهلكهم الله.

ثمود: وهم قوم صالح، كذبوا رسولهم صالحا عليه السلام، فأهلكهم الله بالصيحة.

عاد: وهم قوم هود، كذبوا رسولهم هودا عليه السلام فأهلكهم الله بالريح العقيم.

فرعون: المراد به فرعون موسى، كذب موسى وهارون عليهما السلام، فأغرقه الله وقومه في البحر.

إخوان لوط: أي: قوم لوط، أصروا على الكفر والفسوق وإتيان الفاحشة، ولم يستجيبوا لدعوة نبي الله لوط عليه السلام، فجعل الله عالي بلادهم سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل.

أصحاب الأيكة: الأيكة الشجر الملتف، والمراد بأصحاب الأيكة قوم شعيب، سموا بذلك لأنهم كانوا يعبدون تلك الأشجار، كذبوا رسولهم شعيبا عليه السلام، فأهلكهم الله بالرجفة وعذاب يوم الظلة.

قوم تبع: أهل أوثان يعبدونها، وتبع رجل صالح من حمير باليمن، أسلم ودعا قومه إلى الإِسلام فكذَّبوه، فأهلكهم الله.

وكل هؤلاء الأقوام كذبوا رسل الله فيما جاءوا به، فحق عليهم أن ينزل بهم ما أوعدهم الله به من العذاب الأليم.

ثانيا: كمال قدرة الله وإحاطة علمه:

بعد أن ذكر المولى عز وجل كفار قريش بتكذيب أقوام سابقين لرسلهم وحلول وعيد الله بهم، عاد ليقيم لهم الحجة على قدرة الله على البعث وإحياء الناس بعد الموت، فقال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ أي: هل أعجز الله خلق الناس ابتداء، حتى يشك هؤلاء المشركون في قدرته تعالى على إعادة الخلق من جديد؟ والجواب: لا. لا يعجزنا ذلك، فنحن قادرون على الخلق الثاني كقدرتنا على الخلق الأول، فما دام أنه تعالى لم يصعب عليه خلق البشر ابتداء، فإنه لا يصعب عليه إعادة بعثهم، لأن الإعادة أسهل من الابتداء، قال ﷺ: «**قَالَ اللهُ : كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لاَ أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا**» [صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: الله الصمد].

ومقصود الآية الاستدلال بقدرة الله تعالى على الخلق الأول على قدرته على البعث، والهمزة للإنكار ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: هم في شك من البعث، وإنما أنكروا هذا الخلق الجديد لأنه كان غير معروف عند الكفار المخاطبين، وعرف الخلق الأول لأنه معروف معهود.

ثم يؤكد المولى عز وجل كمال قدرته على بعث الأموات من القبور يوم القيامة، بخلق الإنسان، وإحاطة علمه به وبكل أموره وأحواله فيقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ أي: أن الله تعالى الذي تنكرون قدرته على بعث الأموات من قبورهم هو الذي خلق الإنسان، وأنشأه من العدم، وأنه عالم بجميع أحواله وأعماله وأموره، حتى إنه ليعلم ما يتردد في نفسه من فكر، وما تحدثه به نفسه من عمل، خيرا كان أو شرا، وذلك أخفى الأشياء، وقد جاء في الحديث الشريف: عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا وَسْوَسَتْ أَوْ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسُهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَكَلَّمْ**». [صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حنث ناسيا في الأيمان]

و﴿حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ واحد الوريدين وهما: عرقان كبيران يوجدان في عنق الإنسان، أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال، وهذا مثل في فرط القرب، والمراد به: قرب علم الله واطلاعه على عبده.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ العامل في «إذ» هو نحن أقرب، وقيل: مضمر تقديره: اذكر، فالله تعالى عالم بجميع أحوال الإنسان. ومع ذلك فإنه وكل بذلك ملكين عن يمينه وعن شماله يرقبانه ويترصدانه، ويحصيان عليه كل قول أو عمل ويكتبانه. ملك عن اليمين يكتب الحسنات، وملك عن الشمال يكتب السيئات.

و﴿قَعِيدٌ﴾ بمعنى قاعد، وإنما أفرده وهما اثنان لأن التقدير: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه، وقال الفراء: لفظ قعيد يدل على الاثنين والجماعة فلا يحتاج إلى حذف. ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي: ما يصدر عن الإنسان من لفظ أو كلمة إلا ولديه ملك حاضر معه، مراقب لأعماله يثبتها في صحيفته.

وعموم الآية يقتضي أن الملكين يكتبان جميع أعمال الإنسان، ولذلك قال الحسن وقتادة: يكتبان جميع الكلام فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك، وقال عكرمة: إنما تكتب الحسنات والسيئات لا غير.

وتهدف هذه الآيات إلى تثبيت فؤاد النبي ﷺ من خلال تذكيره بما لاقاه إخوته الأنبياء السابقون من الإنكار والجحود لدعوتهم، وتأكيد قدرة الله عز وجل على بعث الإنسان بعد موته، ومحاسبته على أفعاله التي يعلمها الله سبحانه الذي لا تخفى عليه خافية، وكل ذلك يتضمن دعوة للجاحدين من أمة محمد ﷺ للاعتبار.

التقويم :

1. ما الغاية من تذكير الآيات بتكذيب الأمم السابقة وإهلاكها؟
2. استنتج (ي) من الآيات دليل قدرة الله تعالى على إحياء الناس بعد موتهم وخلقهم من جديد.
3. كيف يتقوى إيمانك بما جاء به الرسول ﷺ؟ وما أثر ذلك في حياتك؟

الاستثمار :

جاء في كتاب الرقاق من صحيح البخاري: **بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»** وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18)﴾ [ق: 18] وساق أحاديث كثيرة، منها:

– حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»**

– وحديثه أيضا، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ»**.

1. استنتج(ي) من هذه النصوص أهمية حفظ اللسان.

2. بين(ي) عقوبة عدم التحرز في الكلام.

الإعداد القبلي :

اقرأ(ئي) الآيات 19 – 26 من سورة (ق) وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح(ي) الكلمات الآتية: سَكْرَةُ الْمَوْتِ - بِالْحَقِّ - تَحِيدُ - سَائِقٌ وَشَهِيدٌ - حَدِيدٌ - قَرِينُهُ - عَتِيدٌ - عَنِيدٍ - مُرِيبٍ .

2. استخرج(ي) من الآيات بعض أهوال الموت والبعث والنشور.

الدرس 25

سورة ﴿ق﴾

(الآيات: 19 - 26)

أهداف الدرس:

1. أن أتعرف ألفاظ ومعاني الآيات موضوع الدرس.
2. أن أستنتج من الآيات بعض مشاق الموت وأهوال يوم القيامة.
3. أن أعتبر بسكرات الموت والبعث والحساب، للاستقامة في حياتي.

تمهيد :

الانتقال عن عالم الدنيا إلى الآخرة يمر عبر بعض المصاعب والمخاطر، أولها سكرات الموت، وتختلف أحوال الناس فيها يسرا وشدة، ثم يعقب ذلك أهوال أخرى، منها: نفخ الصور، ومجيء كل نفس معها سائق يسوقها إلى المحشر، وشهيد يشهد عليها، والوقوف بين يدي الرحمن للحساب ومعاينة الحقائق فيكشف الغطاء عن الإنسان، فيرى ببصره ما كان قد غفل عنه في الدنيا، ثم يقوم الحوار بين الكافر وقرينه الشيطان، فيأمر المولى عز وجل بإلقاء كل كفار عنيد في جهنم.

فكيف نعتبر بسكرات الموت وأهوال القيامة؟ وما جزاء من كفر بالبعث وعاند أمر الله عز وجل؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (20) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (21) لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22) وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (23) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (25) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (26)﴾ [ق: 19 – 26]

الفهم :

الشرح:

سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ : غمرة الموت وشدته.

بِٱلْحَقِّ : بلقاء الله وفراق الدنيا.

تَحِيدُ : تفر وتهرب.

سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ : السائق: ملك يسوقها إلى المحشر، والشهيد: ملك يشهد عليها.

حَدِيدٌ : حاد تدرك به ما كنت تنكره في الدنيا من البعث والجزاء.

عَتِيدٌ : معد حاضر ومهيأ للعرض.

عَنِيدٍ : شديد العناد والمجافاة للحق.

مُّرِيبٍ : شاك في الدين.

استخلاص مضامين الآيات:

1. استخرج(ي) من الآيات وصف الله تعالى لحالة الموت وسكراته.
2. وضح(ي) من الآية بعض مظاهر البعث والنشور.
3. كيف يتأكد الكافر الجاحد مما كان يشك فيه من الحشر والحساب؟

التفسير :

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: حتمية الموت وسكراته على الإنسان:

مهما طال عمر الإنسان فمصيره هو الموت والرحيل عن هذه الدنيا، ذلك الرحيل الذي يمر بسكرات الموت التي تختلف فيها أحوال الناس شدة وخفة، إلا أن المؤكد هو حتميتها على كل إنسان، قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: وجاءتك أيها الإنسان، في نهاية العمر شدة الموت وغمرته التي تغشى الإنسان، فينقلك من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة للقاء ربك عز وجل، والمراد بقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بلقاء الله تعالى وفراق الدنيا.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: «**وجاءت سكرة الحق بالموت**»، وكذلك قرأها أبو بكر الصديق، وإنما قال: ﴿وَجَآءَتْ﴾ بالماضي لتحقق الأمر وقربه ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: يقال لمن جاءته سكرة الموت: ذلك الموت الذي كنت منه تحيد، أي: تهرب وتفر. والمراد بالفرار منها كراهيتها أو تجنب أسبابها.

ثانيا: نفخ الصور ووقوع البعث والحساب:

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي: ونفخ في الصور النفخة الثانية وهي نفخة البعث، فقوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ إشارة إلى الإماتة، وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ إشارة إلى الإعادة والإحياء ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ إشارة إلى الزمان المفهوم من قوله ونفخ؛ لأن الفعل كما يدل على المصدر يدل على الزمان، والمعنى: ذلك الزمان العظيم الأهوال، هو اليوم الذي أوعد الله الكفار أن يعذبهم فيه ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ أي: وجاءت في هذا اليوم كل نفس من المتحدث عنهم، وهم المشركون، ومعها ملك سائق يسوقها إليه، وملك شهيد يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير أو شر، وقيل: الشهيد صحائف الأعمال، وقيل: جوارح الإنسان.

﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي: لقد كنت أيها الإنسان في غفلة من هذا اليوم وما فيه من أهوال وشدائد، فجلّينا ذلك لك، وأظهرناه لعينيك حتى رأيته وعاينته، فزالت عنك هذه الغفلة وأصبح ما كان مشكوكا لديك حقا وواقعا مدركا بالحواس، ولذلك قال بعض العلماء: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا». وقد جعل سبحانه الغفلة كالغطاء تغطي الحق كما يغطى به الجسد فلا يرى، أو غشاوة تغشي العين فلا يبصر صاحبها شيئا، فإذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها، فأبصر ما لم يكن يبصره من الحق.

ثالثا: إعداد الكافر الجاحد بعد محاسبته لإلقائه في جهنم:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ قيل إن القرين هنا هو الشيطان الذي زين له الكفر والعصيان، ومعنى الآية على هذا أن الشيطان يقول: هذا العاصي معد لجهنم أعددته بالإغواء والإضلال. وقيل: القرين هنا هو الملك الذي يتولى عذابه في جهنم. وعليه، فمعنى قوله: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ هذا الإنسان حاضر لدي أعددته وهيأته لجهنم، وكذلك المعنى إن قلنا: إن القرين هو الملك السائق.

وبعد أن يقضي الله تعالى بين الخلائق بعدله التام، يأمر تعالى السائق والشهيد بأن يلقيا في جهنم كل كفار أي: شديد الكفر والتكذيب، معاند للحق، معارض له بالباطل، قال تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿24﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿25﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿26﴾﴾ الخطاب في ألقيا للملكين: السائق والشهيد، بدليل قوله بعد: ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ ومعنى

الآيات: ألقيا في جهنم كل جاحد أن الله هو الإلهُ الحق، كثيرِ الكفر والتكذيب معاند للحق، مناع لأداء ما عليه من الحقوق في ماله، مُعتد على عباد الله وعلى حدوده، شاك في وعده ووعيده، الذي أشرك بالله، فعبد معه معبودا آخر من خلقه، فألقياه في عذاب جهنم الشديد.

وتهدف هذه الآيات إلى تأكيد توحيد الله عز وجل وقدرته على الخلق والإماتة والبعث، والجزاء بالعدل المطلق، الذي بمقتضاه يحكم بجهنم على كل كافر جاحد معاند، لا يسدي الخير للغير، معتد على حقوق الناس مشرك بالله عز وجل.

التقويم :

1. استنتج(ي) من الآيات بعض مشاق الموت وأهوال يوم القيامة.
2. ما هي الصفات التي يستحقق صاحبها نار جهنم المشار إليها في الآيات.
3. كيف تعتبر/ تعتبرين بسكرات وأهوال القيامة وتجعل ذلك يؤثر في سلوكك.

الاستثمار :

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (28) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (29) وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (30) وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: 28 – 31]

تأملي(ي) الآيات وأجب/ أجيبي عن الآتي :

1. لماذا يندم الإنسان بعد الموت؟
2. ماذا على الإنسان فعله في هذه الحياة حتى لا يكون ندمه شديدا يوم القيامة؟

الإعداد القبلي :

اقرأ(ئي) الآيات 27 – 35 من سورة (ق) وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح(ي) الكلمات الآتية: قَرِينُهُۥ – مَآ أَطْغَيْتُهُۥ – وَأُزْلِفَتِ – وَأُزْلِفَتِ – أَوَّابٍ – حَفِيظٍ – خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ.
2. وضح(ي) مضمون الحوار الذي يجري يوم القيامة بين الكافر وشيطانه.

الدرس 26

سورة ﴿ق﴾
(الآيات: 27 – 35)

أهداف الدرس :

1. أن أتعرف مفردات ومضامين الآيات موضوع الدرس.
2. أن أستنتج من الآيات أن جزاء الإنسان في الآخرة، تنفيذ لوعد الله ووعيده في الدنيا.
3. أن أتمثل في حياتي ما يقربني الجنة ويبعدني عن النار.

تمهيد :

واصلت هذه الآيات سرد الحوار بين الكافر الجاحد وشيطانه وتخاصمهما، حيث تبرأ الشيطان من ضلال قرينه ولم يفدهما هذا التخاصم والتلاوم إذ لم يغير شيئا من قضاء الله العادل الذي أعد جهنم لمستحقيها، وفي المقابل هيأ الجنة لعباده الصالحين.

فما هو مضمون الحوار بين الكافر وقرينه؟ وكيف يُستقبل أهل الجنة وأهل النار في الآخرة؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ (27) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (28) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ (29) يَوْمَ يَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (30) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (31) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (32) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (33) ادْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (34) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (35)﴾

[ق: 27 – 35]

الفهم :

الشرح:

قَرِينُهُۥ : شيطانه الذي وكل به في الدنيا.

مَآ أَطْغَيْتُهُۥ : ما أوقعته في الطغيان، بل طغى باختياره.

أَوَّابٍ : كثير الرجوع إلى الله.

حَفِيظٍ : كثير الحفظ لحدود الله وشرائعه.

خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ: اتقى الله وهو غائب عن الناس.

استخلاص مضامين الآيات:

1. وضح(ي) موضوع الحوار بين الكافر وشيطانه، وكيف رد الله تعالى على هذا الحوار ؟
2. ما هي صفات الموعودين بالخلود في الجنة؟ وما ذا أعد الله لأهلها ؟

التفسير :

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: قيام الحوار بين الكافر وشيطانه:

حينما يقدم الكافر العنيد إلى النار، يحاول أن يلقي بالمسؤولية على قرينه الذي كان يزين له الكفر فيقول: هذا القرين هو الذي أطغاني، فيجيبه قرينه بقوله تعالى حكاية عن القرين: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: قال شيطانه الذي كان معه في الدنيا: ربنا ما أضللته، ولكن كان في طريق بعيد عن سبيل الهدى، فأعنته على ضلاله؛ فإن إغواء الشيطان إنما يؤثر فيمن كان مختل الرأي، مائلا إلى الفجور، كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: 24]

وإنما حذف الواو في ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ هنا لأن هذه جملة مستأنفة، بخلاف قوله: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ التي تقدمت؛ فالجملة معطوفة على ما قبلها.

وقد أجابهم الحق سبحانه بجملة مستأنفة كأنها جواب عن سؤال مقدر، كأن قائلاً قال: فماذا قال الله تعالى لهم؟ فأجابهم بقوله: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ الخطاب للناس وقرنائهم من الشياطين، أي: قال الله عز وجل للكافرين وقرنائهم من الشياطين: لا تتخاصموا ولا تتجادلوا عندي في موقف الحساب، فإني تقدمت إليكم في الدنيا بالإنذار والوعيد، وأعذرت إليكم على ألسنة الرسل، وأنزلت إليكم الكتب، وقامت عليكم الحجج والبراهين، والمراد أن اعتذاركم الآن غير نافع لدي، ثم أضاف الحق سبحانه ردا آخر عليهم فقال: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أي: قد حكمت بتعذيب الكفار فلا تبديل لذلك، فلا يغير حكمي وقضائي، ولا أخالف وعدي، بل هو كائن لا محالة، وقد قضيت عليكم بالعذاب بسبب كفركم، فلا تبديل له، ولا أعذب أحدا ظلما بغير جرم اجترمه، أو ذنب اقترفه أو أذنبه، بعد قيام الحجة عليه.

وقيل: معناه لا يكذب أحد لدي لعلمي بجميع الأمور، فالإشارة على هذا إلى قول القرين ﴿مَا أَطْغَيْتُهُ﴾.

ثم أكد الله تعالى حلول العذاب بمستحقيه في جهنم قائلا: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ أي: اذكر يا محمد لقومك وأنذرهم حين يقول اللهّ تعالى لجهنم: هل امتلأت بالأفواج من الجنّة والناس؟ فتنطق جهنم وتجيبه قائلة: هل بقي من زيادة تزيدونني إياها؟

وفعل «تقول» مسند إلى جهنم، وقيل: إلى خزنتها من الملائكة، والأول أظهر، واختلف هل تتكلم جهنم حقيقة أو مجازا بلسان الحال؟ والأظهر أنه حقيقة، وذلك على الله يسير.

ومعنى قوله: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ أنها تطلب الزيادة لأنها لم تمتلئ. وقيل: معناه لا مزيد أي ليس عندي موضع للزيادة، فهي على هذا قد امتلأت بما ألقي فيها، ولم تعد تسع أكثر من ذلك، والأول أظهر وأرجح، لما ورد في الحديث عن أنس بن مالك قال النبي ﷺ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ حَتَّى ﴿تَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطِ قَطِ» [صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله وتقول هل من مزيد].

ثانيا: دخول المتقين الجنة والتذكير بما أعد الله لهم فيها من النعم:

بعد حكاية الحوار الذي يجري بين الكافر وقرينه من الشياطين يوم القيامة، بيّن الله تعالى حال المتقين، جريا على عادة القرآن بالمقارنة بين الأضداد، وإيراد الشيء بعد نقيضه، فيحذر الإنسان ويخاف، ويطمع ويتأمل ويرجو رحمة اللهّ تعالى، وبه تم الجمع بين الخوف والرجاء، قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي: وقربت الجنة من المتقين، الذين آمنوا بربهم وخافوه، واجتنبوا معاصيه، حتى أصبحت في مكان غير بعيد على مرأى العين منهم، وهم يرون فيها ما أعد لهم من نعيم لا نفاذ له، وذلك لتطمئن قلوبهم.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ أي: يقول الله أو ملائكته: هذا هو النعيم الذي وعدكم به ربكم على ألسنة رسله الكرام، وجاءت به كتبه، وقد أعده الله تعالى لكل تواب إلى ربه، مقلع عن المعاصي والآثام. ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ أي: من خاف الله وهو غائب عن الناس في وقت الذي لا يراه أحد غير الله، وجاء يوم القيامة بقلب منيب خاضع له.

فقوله: ﴿مَّنْ خَشِيَ﴾ بدل أو مبتدأ، والمجرور في قوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في موضع الحال.

فإن قيل: كيف قرن بالخشية الاسم الدال على الرحمة التي توحي بالاطمئنان وعدم الخوف؟ فالجواب: أن ذلك لقصد المبالغة في الثناء على من يخشى الله؛ لأنه يخشاه مع علمه برحمته وعفوه، قال ذلك الزمخشري، ويحتمل أن يكون الجواب عن ذلك، أن الرحمن صار يستعمل استعمال الاسم الذي ليس بصفة كلفظ الجلالة.

ثم يقال لأهل الجنة: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ أي: ادخلوا الجنة بسلامة من العذاب، ومن زوال النعم، ومن كل المخاوف، أو مسلّما عليكم من اللّهَ وملائكته، ذلك اليوم الذي تدخلون فيه هو يوم الخلود الأبدي، الذي لا موت بعده، ولا تحوّل عنه.

﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ أي: لهؤلاء المتقين الموصوفين بما ذكر كل ما يريدون في الجنة، وتشتهيه أنفسهم، وتلذه أعينهم، من أنواع الخيرات، وأصناف النعم بحسب رغبتهم، فمهما اختاروا وجدوا، ومن أي أصناف الملاذ طلبوا أحضر لهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قيل: معناه النظر إلى وجه الله، كقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26] وقيل: معناه ما لم يخطر على قلوبهم كما ورد في الحديث القدسي الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه عز وجل أنه قال: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**» [صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة]

ومن مقاصد هذه الآيات تحميل الإنسان مسؤولية أفعاله التي بها يحقق مقصد التعبد والاستخلاف في الأرض وعمارتها بالخير والصلاح، وأن الله سبحانه وتعالى سيجازي عباده جزاء عادلا على أفعالهم بعد إقامة الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب لهداية الناس، فاختار كل منهم ما يحلو له.

التقويم :

1. لماذا نهى الله عز وجل الكافر وشيطانه عن المخاصمة والمجادلة؟

2. استنتج(ي) من الآيات مظاهر عدل الله عز وجل من خلال جزائه لعباده.

3. كيف تكون الآيات دافعا لك على التحلي بالصفات التي تقربك من الجنة وتبعدك عن نار جهنم.

الاستثمار :

عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغِرَّتُهُمْ؟ قَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا...**». [صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء]

بين(ي) من خلال النص أهل الرحمة وأهل العذاب.

الإعداد القبلي :

اقرأ(ئي) الآيات 36 – 40 من سورة (ق) وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح(ي) العبارات الآتية: **قَرْنٍ – بَطْشاً – فَنَقَّبُواْ فِي الْبِلَادِ – مَّحِيصٍ – أَلْقَى السَّمْعَ – شَهِيدٌ – لُّغُوبٍ**.
2. ابحث(ي) في الحكمة من خلق السموات والأرض والفضاء في ستة أيام.

الدرس 27

سورة ﴿ق﴾
(الآيات: 36 – 40)

أهداف الدرس :

1. أن أتعرف ألفاظ ومعاني الآيات موضوع الدرس.
2. أن أستنتج من الآيات الدليل الواضح على قدرة الله على الخلق والبعث.
3. أن أداوم على تنزيه المولى عز وجل وألتزم بذكره عقب الصلوات وفي كل الأوقات.

تمهيد :

بعد أن أنذر الله تعالى منكري البعث بالعذاب الأليم في الآخرة، عاد إلى تهديدهم وإنذارهم بعذاب الدنيا المهلك المدمر، ثم أكد سبحانه وتعالى دليل إمكان البعث مستدلا على ذلك بخلق السموات والأرض أول مرة دون عناء أو تعب، آمرا رسوله بالصبر على ما يقوله المشركون من إنكار البعث وغيره، والإقبال على الله بالتنزيه والذكر في كل الأوقات.

فبم أنذر الله المشركين المتمادين في شركهم وعنادهم؟ وبماذا أمر الله تعالى نبيه لمواجهة أقوالهم الباطلة؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ (36) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (37) وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (38) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (39) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (40)﴾ [ق: 36 – 40]

الفهم :

الشرح:

قَرْنٍ : القرن: الأمة والجماعة والجيل من الناس.

بَطْشًا : قوّة وأخذا بالعنف والشدّة.

فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ : طافوا فيها.

مَّحِيصٍ : مهرب ومنقذ من عذاب الله.

لَذِكْرَىٰ : لذكرى.

أَلْقَى السَّمْعَ : يستمع.

شَهِيدٌ : حاضر القلب.

لُّغُوبٍ : من نصب وتعب.

استخلاص مضامين الآيات:

1. بماذا أنذر الله عز وجل كفار قريش في الآيات؟
2. ما هو الدليل على كمال قدرة الله عز وجل على البعث وغيره؟
3. بم أمر الله سبحانه نبيه بعد أن بين له كمال قدرته على الخلق والبعث؟

التفسير :

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: تهديد منكري البعث ودعوتهم للاعتبار ببعض الأمم قبلهم:

قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ أي: أهلكنا قبل كفار قريش كثيرا من الجماعات والأمم الخالية. هُمْ أَشَدُّ من كفار قريش بطشا، وأكثر منهم قوة، كعاد وثمود وفرعون. فسلكوا في الأرض كل مسلك، وساروا في كل طريق يطوفون في البلاد طلبا للرزق، فلم يكن لهم مهرب من قضاء الله وأمره حينما جاءهم، فليحذر كفار قريش أن ينزل بهم

مثل ما نزل بتلك الأمم الخالية من العذاب والدمار. والضمير في «هم» للقرون المتقدمة، وفي «منهم» لكفار قريش.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ الإشارة إلى الإهلاك، ويحتمل أن تكون إلى ما قاله عز وجل من إزلاف الجنة وملء جهنم وغيرهما، ففي ما تقدم لتذكرة لمن كان له قلب واع يعقل ويفهم ويتدبر به الحقائق، لأنه إذا ورد عليه شيء من آيات الله، تذكر بها، وانتفع فارتفع، وكذلك من ألقى سمعه إلى آيات الله، واستمعها استماعًا يسترشد به، وأصغى إلى الموعظة وهو حاضر القلب ليتذكر بها ويعتبر. قال سفيان: «لا يكون حاضراً وقلبه غائب» وقال الضحاك: «العرب تقول: ألقى فلان سمعه إِذا استمع بأذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب». وأما المعرض، الذي لم يلق سمعه إلى الآيات، فهذا لا تفيده شيئًا، لأنه لا قبول عنده، ولا تقتضي حكمة الله هداية من هذا وصفه ونعته.

ثانيا: دليل قدرة الله على الخلق والبعث:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ هذه الآية تكملة لما سبق في صدر هذه السورة من الاستدلال بخلق السماوات وغيرها على إمكان البعث في قوله: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ إلى قوله: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق: 6 – 7]، أي: قسما بربك لقد خلقنا السموات التي فوقكم، والأرض التي تعيشون على ظهرها في ستة أزمنة مختلفة، قد تمّ في كل زمن منها طور من أطوارها، وقدرناها بمقادير أردناها عز وجل، وما مسنا بذلك تعب ولا إعياء، ولا تزال عجائبنا تترى كل يوم، فانظروا إليها، وتأملوا في محاسنها، فهي لا تحصى، ولا يبلغها الاستقصاء.

ثالثا: الأمر بالصبر والتحمل، والتسبيح والإقبال على الله:

قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: فاصبر على ما يقوله المشركون من كفار قريش وغيرهم في شأن البعث من الأباطيل التي لا مستند لها إلا الاستبعاد والاستكبار، فإن من خلق الخلق في تلك المدة اليسيرة بلا إعياء قادر على بعثهم وجزائهم على ما قدموا من الحسنات والسيئات.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿39﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿40﴾﴾ يحتمل أن يكون المراد بالأمر بالتسبيح، التسبيح باللسان، أي: ونزه ربك دائما عن كل عجز ونقص بلسانك الدال على ما تعتقده بفؤادك عن العجز عن كل ممكن كالبعث ونحوه، مقرونا بالتسبيح بالحمد دائما قائلا: «سبحان اللهّ وبحمده»، وقت الفجر ووقت العصر، وبعض الليل، وفي أعقاب الصلوات.

ويحتمل أن يكون المراد بالأمر بالتسبيح: الصلاة، وهي على هذا إشارة إلى الصلوات الخمس فقبل طلوع الشمس: الصبح، وقبل الغروب: الظهر والعصر. ومن الليل: المغرب والعشاء، وقيل: هي النوافل.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ فقال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما: المراد به الركعتان بعد المغرب، وقال ابن عباس: هي النوافل بعد الفرائض، وقيل: الوتر.

وأمره عز وجل له بالتسبيح بعد أمره له بالصبر على أذى الكفار، فيه دليل على أن التسبيح يعينه الله به على الصبر المأمور به، والصلاة داخلة في التسبيح المذكور. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿97﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿98﴾﴾ [الحجر: 97 – 98] وقال في آية أخرى آمرا بالاستعانة بالصبر وبالصلاة: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: 44].

ويذكر المفسرون أن من مقاصد خلق السموات والأرض متدرجا على أطوار، ولم تخلق دفعة واحدة مع أن الله قادر على ذلك، أنه عز وجل جعل العوالم على سنن يترتب بعضها من بعض، ليكون هذا الخلق مظهرا لصفتي علم الله تعالى وقدرته، فالقدرة صالحة لخلقها دفعة، ولكن العلم والحكمة اقتضيا هذا التدرج، وكانت تلك المدة أقل زمن يحصل فيه المراد. وقد تكرر ذكر هذه الأيام في آيات كثيرة لقصد التنبيه إلى هذه النكتة البديعة، من كونها مظهرا من مظاهر سعة علمه وكمال قدرته.
[التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور بتصرف: 8 / 161]

التقويم :

1. ما الغاية من ذكر هلاك الله لبعض القرون السابقة؟
2. وضح(ي) من خلال الآيات دليل قدرة الله على البعث والحساب.
3. كيف يكون مضمون الآيات دافعا لك لتنزيه المولى عز وجل وذكره والثناء عليه في كل الأوقات.

الاستثمار :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**جَاءَ الفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ العُلاَ وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: «أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ**

كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ»، فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَنُحمِّدُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَقُولُ: «سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَالله أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ» . [صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة].

1. لماذا أمر الرسول ﷺ هؤلاء الفقراء بذكر الله عقب الصلوات؟
2. بين(ي) من خلال ما درست فضل التسبيح والذكر.

الإعداد القبلي :

اقرأ(ئي) الآيات 41 – 45 من سورة (ق) وأجب/ أجيبي عن الآتي:

1. اشرح(ي) الكلمات الآتية: **وَاسْتَمِعْ – الْمُنَادِ – الصَّيْحَةَ – تَشَقَّقُ** .
2. بين(ي) بعض أحوال يوم القيامة كما جاءت في الآيات.

الدرس 28

سورة ﴿ق﴾
(الآيات: 41 - 45)

أهداف الدرس :

1. أن أتعرف المضامين العامة للآيات موضوع الدرس.
2. أن أستنتج من الآيات إحاطة علم الله بأقوالنا وأفعالنا وكمال قدرته على الحشر والحساب.
3. أن أهتدي بما جاء في الآيات في الدعوة إلى الله وبيان شرعه دون إكراه.

تمهيد:

سبقت الإشارة إلى أن مضامين صدر هذه السورة تدور حول ثبوت البعث، وإقامة الحجة على ذلك، والرد على منكريه بالأدلة المحسوسة التي يفهمونها، وقد اختتمت السورة بهذه الآيات التي تصف يوم الحشر وكيف يخرج الناس من قبورهم حيث يجدون أنفسهم بين يدي الله الذي يحيط علمه بسائر أقوالهم وأفعالهم.

فكيف يبعث الناس من قبورهم؟ وكيف هدد القرآن الكريم المشركين المنكرين للبعث والجزاء؟

الآيات :

قال تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (41) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (42) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (43) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (44) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ (45)﴾ [ق: 41 – 45]

الفهم :

الشرح:

اسْتَمِعْ : انتظر.

الْمُنَادِ : إسرافيل الذي ينفخ في الصور.

الصَّيْحَةَ : النفخة الثانية في الصور، وهي صيحة البعث.

تَشَقَّقُ : تتصدع الأرض عن الموتى.

فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ : فعظ بالقرآن.

استخلاص مضامين الآيات:

1. حدد(ي) بعض أحوال الحشر التي وردت في الآيات.
2. بم هدد القرآن الكريم المشركين على أقوالهم الضالة؟
3. بين(ي) من خلال الآيات مهمة الرسول ﷺ.

التفسير :

اشتملت الآيات على ما يأتي:

أولا: تحقيق البعث ووصف حالة الإحياء بعد الموت:

قال تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ استمع معناه انتظر، فهو عامل في ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ على أنه مفعول به صريح، وقيل: المعنى استمع لما نقص عليك من أهوال القيامة، وعلى هذا لا يكون عاملا في ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ والأول أظهر. أي: انتظر أيها الرسول صيحة القيامة، وهي النفخة الثانية في صور إسرافيل عليه السّلام، وإنما وصفه بالقرب لأنه يسمعه جميع الخلق. ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ أي: ينادي نداء يسمعه جميع أهل المحشر قائلا: هلموا إلى الحساب فيخرجون من قبورهم.

وقوله: ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ وصفه بالقرب من حيث يسمع جميع الخلائق، وصيحة البعث كائنة حقا، وهي يوم سماع النفخة الثانية في الصور التي تنذر بالبعث والحشر والجزاء على الأعمال، وذلك يوم الخروج من القبور.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: إننا وحدنا نحيي الموتى في الدنيا والآخرة، ونميت الأحياء في الدنيا حين انقضاء الآجال، وإلينا المرجع في الآخرة للحساب والجزاء، فنجازي كل عامل بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ أي: إلينا مصير الخلائق وقت تصدع الأرض عنهم، فيخرجون من القبور، ويساقون إلى المحشر، مسرعين إلى المنادي الذي يناديهم، قال تعالى: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: 8] وقال عز وجل: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 52]

﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي: جمع هين، وإعادة سهلة يسيرة علينا لا مشقة فيه ولا عسر، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: 50] وقال عز وجل: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: 27]

ثانيا: تهديد المشركين بأنه سبحانه محيط بأقوالهم، وتنبيه رسول الله بمهمته الرسالية:

قال تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ هذا تهديد من اللهّ تعالى للمشركين، أي: نحن أعلم بما يقول هؤلاء المشركون بالله من فريتهم على الله، وتكذيبهم بآياته، وإنكارهم قدرة الله على البعث بعد الموت، وقولهم إنك شاعر، وإنك ساحر، وإنك كاهن، وإنك كاذب، وإنك مجنون، وغير ذلك من أقوالهم الفاسدة، وسيجزيهم على كل ذلك.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ أي: ولست بالذي تجبر هؤلاء على الإيمان والهدى، ومثله قوله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: 22] فليس ذلك ما كلفت به، بل أنت مأمور فقط بالدعوة إلى الهدى وتبليغ الشريعة، ولست مأمورا بإجبار الناس على ذلك. وقال مجاهد، وقتادة، والضحاك: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ أي: لا تتجبر عليهم. قال ابن كثير في تفسيره: «والقول الأول أولى، ولو أراد ما قالوه لقال: «ولا تكن جبارا عليهم»، وإنما قال: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ بمعنى: وما أنت بمجبرهم على الإيمان إنما أنت مبلغ». [تفسير القران العظيم لابن كثير: 7 / 412].

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ أي: فذكّر أيها الرسول بهذا القرآن العظيم، وبلّغ رسالة ربك، فإنما يتذكر به من يخاف اللهّ ويخشى وعيده للعصاة بالعذاب الأليم، ويرجو وعده وفضله ورحمته للطائعين، وأما من عداهم فلا تأبه بهم. وكان قتادة يقول: «اللهم، اجعلنا ممن يخاف وعيدك، ويرجو موعودك، يا بار، يا رحيم».

وروي عن ابن عباس رضي اللهّ عنهما: أن المؤمنين قالوا: يا رسول اللهّ، لو خوّفتنا، فنزلت: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾

وتهدف هذه الآيات إلى تطمين الرسول ﷺ بأن وظيفته هي الدعوة إلى الله بالحكمة، وتبليغ رسالة ربه، ونشر الخير لعموم الناس، وهو غير مسؤول عن عدم اهتدائهم وإيمانهم؛ لأنه إنما بُعث داعيا وهاديا، وليس مبعوثا لإكراه الناس على الإيمان.

التقويم :

1. صف(ي) من خلال الآيات بعض أحوال يوم الحشر والحساب.
2. استنتج(ي) من الآيات كيف هدد القرآن الكريم المشركين بإحاطة علم الله وكمال قدرته.
3. ما هو المنهج الرباني في الدعوة إلى الله وتبليغ شريعته؟

الاستثمار :

هناك آيات كثيرة تدل على عدم جواز إكراه الناس على الإيمان، منها:

- قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 255].
- قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 271].
- قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99]
- قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: 41]
- قوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: 56]

1. لماذا لا يجوز إجبار غير المسلمين على الدخول في الإسلام؟
2. ما هو المنهج الرباني في الدعوة والتبليغ؟

فهرس الأعلام

الأعلام	ترجمتهم
ابن جزي	هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي الأندلسي، ترك كثيرا من الآثار في مختلف فنون العلوم كالفقه والحديث والتصوف والقراءات، من أهم مؤلفاته: كتاب «القوانين الفقهية»، وكتاب «التسهيل في علوم التنزيل». توفي رحمه الله سنة 741 هـ.
ابن عباس	عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، الصحابي الجليل حبر الأمة، ولد بمكة، ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة، حيث بلغت في الصحيحين وغيرهما 1660 حديثا. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي رحمه الله بها سنة 68 هـ.
الضحاك	أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي، له باع كبير في التفسير والقصص، روي عنه أنه قال: «حق على من تعلم القرآن أن يكون فقيها» توفي سنة 102 هـ.
مجاهد	مجاهد بن جبر شيخ القراء والمفسرين روى عن ابن عباس وأبي هريرة، وعائشة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمرو، وابن عمر، ورافع بن خديج، وأم كرز، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري وغيرهم. توفي رحمه الله سنة 104 هـ.
قتادة	قتادة بن دعامة، قدوة المفسرين والمحدثين، روى عن عبد الله بن سرجس، وأنس بن مالك، وأبي الطفيل الكناني، وسعيد بن المسيب توفي رحمه الله سنة 118 هـ.
الواحدي	أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، مفسر، نحوي، لغوي، فقيه شاعر، من مؤلفاته: الوجيز، أسباب النزول، التفسير الوسيط، التفسير البسيط. توفي رحمه الله بنيسابور في جمادى الآخرة سنة 468 هـ.
الزمخشري	أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، كان إمامًا في التفسير والنحو واللغة والأدب، ألف كتبا كثيرة أهمها تفسيره المشهور: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. توفي رحمه الله سنة 538 هـ.

القرطبي	أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح، الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسر، من أهم مؤلفاته كتاب» الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان» وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعا. توفي رحمه الله سنة 671 هـ.
ابن كثير	هو الإمام الحافظ، المحدث، المؤرخ، عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي، من مؤلفاته: تفسير القرآن العظيم، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث وغيرها، توفي رحمه الله سنة 750 هـ.
ابن عجيبة	هو الإمام المفسر أحمد بن محمد بن المهدى بن الحسين بن محمد المعروف بابن عجيبة، والمكنى بأبى عباس، من مؤلفاته: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، وحاشية على مختصر خليل، وحاشية على الجامع الصغير للسيوطي وغيرها، توفي رحمه الله سنة 1224هـ
المراغي	أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، من مؤلفاته: تفسير المراغي، الحسبة في الإسلام، الوجيز في أصول الفقه، علوم البلاغة، توفي بالقاهرة سنة 1371 هـ.
ابن عاشور	محمد الطاهر بن عاشور التونسي، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. له مؤلفات كثيرة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و(التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، وغيرها من المؤلفات. توفي رحمه الله سنة 1393 هـ.

فهرس المصادر والمراجع

ر.ت	المصادر والمراجع
1	**القرآن الكريم برواية ورش عن نافع**
2	**التسهيل لعلوم التنزيل**، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – 1416 هـ.
3	**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1418 هـ.
4	**البحر المحيط في التفسير**، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ.
5	**البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الطبعة: 1419 هـ.
6	**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، المشهور بالتحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ.
7	**تفسير الإمام ابن عرفة**، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: 803هـ)، تحقيق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، الطبعة الأولى، 1986 م.

8	**تفسير الجلالين**، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الأولى.
9	**تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م.
10	**تفسير المراغي**، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946 م.
11	**التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى.
12	**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، المعروف بصحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
13	**الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م.
14	**سنن ابن ماجه**، لابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
15	**سنن أبي داود**، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م

16	**سنن الترمذي**، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ – 1975 م.
17	**شعب الإيمان**، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة: الأولى، 1423 هـ – 2003 م.
18	**صحيح ابن خزيمة**، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: 311هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت.
19	**صفوة التفاسير**، لمحمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة الطبعة: الأولى، 1417 هـ – 1997 م.
20	**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1407 هـ.
21	المجتبى من السنن، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، 1406 – 1986.
22	**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ
23	**مدارك التنزيل وحقائق التأويل** المشهور بتفسير النسفي، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ – 1998 م.

المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.	24
مناهِجُ التَّحصِيلِ ونتائج لطائف التَّأْوِيل في شَرحِ المدَوَّنة وحَلِّ مُشكِلاتها، أبو الحسن علي بن سعيد الرجراجي (المتوفى: بعد 633هـ)، اعتنى به: أبو الفضل الدّميَاطي – أحمد بن عليّ، دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، 1428 هـ – 2007 م	25
الموطأ، للإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1406 هـ – 1985 م.	26

فهرس الموضوعات

